ثورة الحسين





أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً

« الصحاح والمسانيد »

ثورة الحسين

النظرية ـ الموقف ـ النتائج

سماحة آية الله السيّد محمد باقر الحكيم

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد»
وعن أميرالمؤمنين علي عليه السلام: «العلماء باقون ما بقي الدهر... أُولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه، آه آه شوقاً الى رؤيتهم». «نهج البلاغة ـ الحكمة ١٣٩»

«سلام الله ورسوله وصلواتهما على الأرواح الطيّبة للشهداء، وأخصّ بالذكر الشهداء الأعزّاء الرّوحانيين والحوزات العلمية... السلام على الخالدين من رجال الدين المثيرين الحماس في الآخرين، الذين دوّنوا رسائلهم العلمية والعملية بدماء شهادتهم ومداد دمائهم، والذين صنعوا من شموع حياتهم جواهر مضيئة على منابر الخطابة للناس لهدايتهم ووعظهم.

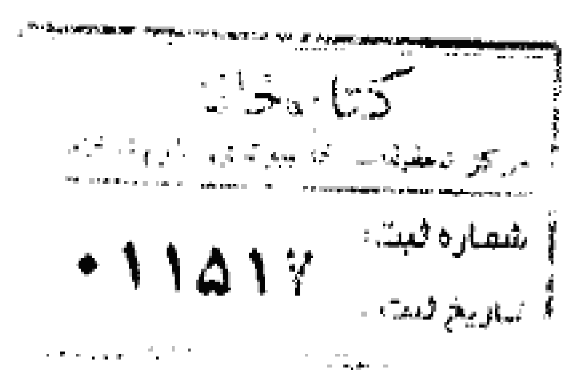
الفخر والخلود لشهداء الحوزة والرّوحانيين الذين قطعوا عن أنفسهم حبال علاقاتهم ببحوثهم ودروسهم ومدارسهم في معمعة الجهاد، وفكّوا عقال تمنّياتهم الدنيوية عن حقائق علومهم، وخفّوا لضيافة الملائكة حاملي عرش ربّهم، وأنشدوا نشيد الحضور في مجامع الملكوتيين.

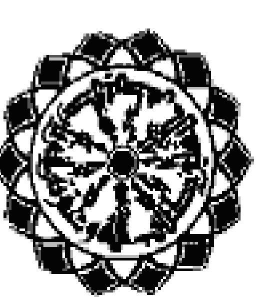
السلام على أُولئك الذين تقدّموا نحو كشف حقيقة التفقّه في الدين، وأصبحوا لأقوامهم من المنذرين الصادقين، بحيث أصبحت قطرات دمائهم وقطع أجسامهم تشهد بصدق كلّ جزء من أحاديثهم. وحقّاً لا يُنتظر من رجال الدين الحقيقيّين في الإسلام والتشيع إلّا أن يكونوا في دعوتهم الناس الى الحقّ وطريق ذات الشوكة هم يقدّمون الضحايا الأوائل، وأن يكون ختام دفاترهم بدمائهم.

إنّ الذين أدركوا حلقات الذكر للعرفاء العلماء الحوزويين، لم يسمعوا منهم في خلسات شهودهم أي أمل سوى الشهادة، وهم بدورهم في ضيافاتهم بمحضر التقرّب والخلوص لم يكونوا يطلبون من عطايا الحقّ سبحانه وتعالى سوى عطية الشهادة».

من رسالة الإمام الخميني قدس سره الى الحوزات العلمية

في شهر اسفند عام ١٣٦٧ هـ.ش





اسم الكتاب: ثورة الحسين عليه السلام

المؤلف: آية الله الشهيد السيد محمدباقر الحكيم قدس سره

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

و بالتعاون مع مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام

الطبعة الاولى: ١٤١٩ هـ ق

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق

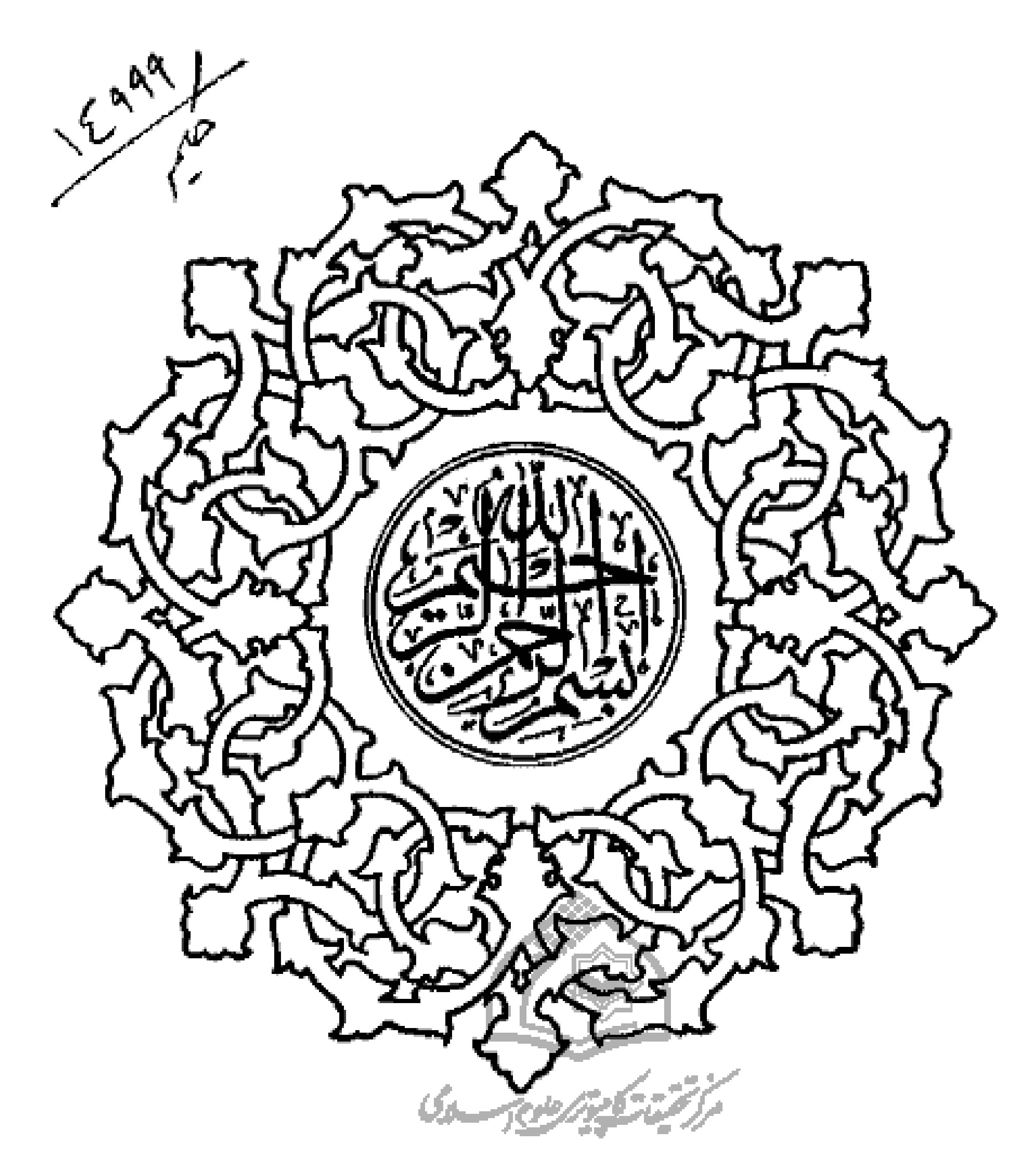
المطبعة: ليلى

الكمية: ٥٠٠٠

شابك: ٢-١٢-٨٦٨٦-٩٦٤ ISBN: 964-8686-12-2

www.ahl-ul-bayt.org


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


بسم الله الرحمن الرحیم

أربعة عشر عاماً تمرّ على تأسيس المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وخلال هذه المسيرة سعى المجمع أن يقدّم على صعيد نشر الثقافة والمعارف الإسلامية، في الدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكذا الدفاع عن كيان وحقوق أتباع أهل البيت عليهم السلام كل ما في وسعه ليصل الى مستوىً ما يطمح إليه السيد القائد آية الله العظمى الخامئني (دامت بركاته).

ومن هنا نشط المجمع في مجالات البحوث والتحقيقات ومجالات التعليم والتبليغ و...

إنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام يشعر بالاعتزاز والفخر وهو يأخذ على عاتقه مسؤولية تكريم العلماء والذين نذروا حياتهم من أجل الدفاع عن الثقافة الإسلامية الثرّة وقيم الإسلام الأصيلة، ومن هنا يشعر المجمع بالفخر وهو يقيم مؤتمره التكريمي لآية الله الشهيد السيد محمدباقر الحكيم قدس سره نائب رئيس المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، هذه الشخصية العلمية الفذّة التي قدمت خدمات كبرى.

ومن المؤكد أن آية الله الشهيد الحكيم قدس سره واحد من أبرز الشخصيات العلمية والسياسية ليس على مستوى العراق والعالم الشيعي فحسب بل والعالم الإسلامي كلّه.

إنّ سعي السيد الشهيد آية الله الحكيم قدس سره وجهاده العلمي والسياسي كان ولاشك وراء جزء مهمّ من التغييرات الكبرىٰ على صعيد الصراع مع حزب البعث المتسلّط في العراق.

فلقد نهض هذا العالم الربّاني بمهام نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام من خلال نشاطاته الواسعة سواء في التدريس وكتابة المقالات والقاء المحاضرات في العديد من المناسبات.

وهذه مؤلفاته التي طُبع بعضها والتي ستطبع في المستقبل تشهد بنشاط هذا المجاهد الشهيد.

ولقد قيل: «إن قوام أُمور الدين والدنيا بشيئين: القلم والسيف، والسيف تحت القلم».

ولا ريب أنّ آية الله الشهيد السيد محمدباقر الحكيم كان مسلحاً بهما معاً.

فهذا يراعه الذي يسيل حكمة وعلماً، وهذه السيوف المصلتة التي كانت تنتظر إشارته والتي طالما قاتلت الكفر وتحدّت الظلم والظالمين.

وقد جاء في الحديث النبويّ الشريف عن سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله قوله: «**ثلاث تخرق الحجب وتنتهي الى ما بين يدي الله: صرير أقلام العلماء ووطء أقدام المجاهدين...**».

ومن المؤكد أن صرير قلم العالم الشهيد ووقع خطى المجاهد السعيد كان يملأ الخافقين وهو يتّجه في مسيرته الجهادية الى أن تفتحت له أبواب الشهادة وحظيَ بلقاء ربّه ربّ العالمين.

وبعد ربع قرن من حياة المنفىٰ والمهجر والبُعد عن الوطن عاد السيد الشهيد الى أرض الوطن بعد أن هوىٰ النظام البعثي العفلقي ؛ عاد السيد الشهيد ليستقر في جوار مراقد أجداده الطاهرين.. عاد ليعيش بين ظهراني شعب العراق المسلم المعذب المقهور، عاد من أجل أن يسهم في بناء ما دمّره الكافرون والظالمون.

ومن فوق منبر الجمعة راح الشهيد السعيد يلقي خطابه الوعظي والارشادي من أجل نشر الوعي في صفوف المؤمنين وكانت محبوبيته بين شعب العراق تزداد يوماً بعد آخر..

ولكن .. يا للحسرة والأسف انطفأ هذا المصباح المتوهج لأن الأبوام التي اعتادت الحياة في الظلام لم تعد تتحمّل هذا الضياء الساطع؛ فامتدت يد الغدر لتعتدي على حياة هذا المجاهد بعد أن أدّى صلاة الجمعة في جوار المرقد الطاهر للإمام علي عليه السلام .

وعانق السيد الحكيم الشهادة فائزاً بلقاء الله ويالها من مسيرة حافلة بالجهاد والعطاء تتكلّل بهذه النهاية السعيدة والفوز العظيم.

ولقد خاب سعي الضالّين والمنافقين إذ أرادوا اطفاء هذا النور ، إلّا أنّ السيد الحكيم لم يمت لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وإذا غاب شخصه عنّا فإنّ شخصيته ما تزال تشع بالنور من خلال ما قدمه من عطاء...

وما أجمل ما قاله القائد آية الله العظمى السيد الخامنئي(دام ظله): «**كان هذا الشهيد العزيز عالماً ومجاهداً تحدّى نظام صدّام الخبيث سنين طويلة وبعد أن سقط رمز الشرّ والفساد وقف سدّاً قوياً بوجه المحتلّين الأمريكيين والانجليز ليبدأ جهاده في مقاومة المخططات المشؤومة مستعداً للشهادة في طريق الجهاد الطويل والالتحاق بقوافل الشهداء من آل الحكيم وغيرهم من شهداء العلم والفضيلة في العراق**».

يقوم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بعقد المؤتمر التكريمي بمناسبة ذكرى استشهاد العالم الفذّ المجاهد شهيد المحراب آية الله السيد محمدباقر الحكيم وبالتعاون مع المؤسسات ذات الاهتمام؛ وذلك بتاريخ الثامن عشر من رجب الأصب (١٤٢٥ هـ) في العاصمة طهران، وسيحضر بهذه المناسبة جمع من علماء العالم الإسلامي لإلقاء كلمات التكريم لهذا الشهيد الكبير.

وتقيد اللجنة الثقافية للمؤتمر التكريمي لآية الله الشهيد السيد محمدباقر الحكيم من هذه الفرصة لتشير الى نشاطها الذي ينقسم الى قسمين:

القسم الأوّل: إعادة طبع مجموعة من آثار ومؤلفات الشهيد وهي كالآتي:

١ ـ إعادة طبع كتاب دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة المجلدين الأوّل والثاني.

٢ ـ إعادة طبع كتاب الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين.

٣ ـ إعادة طبع كتاب علوم القرآن بالتعاون مع مجمع الفكر الإسلامي.

٤ ـ إعادة طبع كتاب تفسير سورة الحمد بالتعاون مع مجمع الفكر الإسلامي.

٥ ـ إعادة طبع كتاب القصص القرآني بالتعاون مع المركز العالمي

للدراسات الإسلامية.

٦ـ إعادة طبع كتاب الأُخوّة الايمانية بالتعاون مع مؤسسة دار الغدير.

٧ـ إعادة طبع كتاب ثورة الحسين عليه السلام بالتعاون مع مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام .

القسم الثاني: اعداد وتوزيع الأقراص المضغوطة التي تشتمل على كتبه التي ستطبع لأوّل مرّة بمناسبة إقامة المؤتمر التكريمي.

١ ـ طبع حياة وسيرة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم من قبل مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٢ ـ طبع كتاب الأربعة عشر مناهج ورؤى من قبل مؤسسة طبع آثار الشهيد آية الله الحكيم وبالتعاون مع المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .

٣ ـ طبع كتاب شهداء العلم والفضيلة في العراق من قبل المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الذي يشتمل على سيرة وحياة مئة وعشرين شهيداً من علماء العراق باللغتين العربية والفارسية.

٤ ـ اعداد وتوزيع الأقراص المضغوطة التي تحتوي على المجموعة الكاملة لآثار الشهيد الحكيم.

في الختام أجد من واجبي أن أُقدّم فائق شكري وتقديري الى كل الدوائر الثقافية والتنفيذية التي مدّت يد العون من أجل اقامة هذا المؤتمر والى كل ممثليهم المحترمين الذين شاركوا في الجلسات والاجتماعات التحضيرية ..

أسال الله العليّ القدير أن يوفّق جميع أتباع أهل البيت عليهم السلام وأن يغمرهم بألطاف وليّه ولي العصر بقية الله المهدي وأن يعجّل فرجه.

محمّد حسن تسخيري

المعاون الثقافي للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنام حبيب إله العالمين محمّد المصطفى صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، القادة الأبرار الميامين والائمة الهداة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم ومبغضيهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد، فقد أخذت إدارة المؤسسة على عاتقها منذ بداية تأسيسها نشر الفكر الإسلامي الأصيل المتجسّد بمذهب أهل البيت عليهم السلام في أنحاء العالم كافة، وتعريف الإنسانية جمعاء بحياة هؤلاء العظماء وسيرتهم وفضائلهم ومناقبهم.

وقد قامت المؤسسة بطباعة مجموعة من الكتب التي تعرّف حياة أهل البيت عليهم السلام، واليوم تقوم المؤسسة بطباعة كتاب جديد قيّم ومفيد، يبحث عن تفسير ثورة سيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، ونهضته المجيدة الخالدة طول التاريخ ضد الطغاة والظالمين، هذا الإمام الذي تشرفت المؤسسة بتسمية اسمها باسمه المبارك، وهو سبط الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وسيد شباب أهل الجنة، حيث يحتوي الكتاب محاضرات قيّمة ونافعة ألقاها سماحة آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم في مناسبات متعددة، وقد جمعها سماحته وأدخل عليها بعض التعديلات البيانية مع توضيح وتنقيح لها،

مضيفاً إليها بعض الأفكار والشواهد التأريخية، مع الاحتفاظ بصيغتها الخطابية قدر الإمكان.

وتقدم هذه المحاضرات التصور النظري العام لثورة الإمام الحسين عليه السلام، وبيان الاطار الفكري والشرعي والسياسي والأخلاقي لهذه الملحمة التأريخية وأسبابها ونتائجها، اعتماداً على ملاحظة مجموعة من الظواهر التأريخية والحقائق الثابتة دون الخوض في جانب السرد التأريخي أوالدخول في تفاصيل الأحداث، حيث أصبحت هذه الأحداث معروفة، ودون شرح الجوانب والأبعاد المختلفة لهذه الثورة العظيمة الخالدة مرّ العصور والأزمان، حيث يحتاج ذلك إلى حديث آخر أكثر تفصيلاً.

هذا، وإن الهدف من إصدار هذا الكتاب هو محاولة لنشر التصور الصحيح للثورة وتوعية الأُمّة بمضمونها وأهدافها.

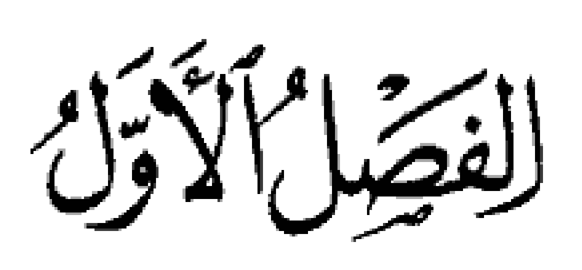
وفي الختام نسأل الباري تعالى أن يأخذ بأيدينا وأيدي المؤمنين جميعاً للسداد والتوفيق على خطى الأئمة الأطهار الميامين سلام الله عليهم أجمعين، وأن يكون هذا الأثر النفيس ذوفائدة لجميع المسلمين، وتوضيح عوامل النصر الإلهي لهم في قضاياهم مع أعدائهم ومجاهدتهم لأنفسهم والتغلب على الواقع الفاسد.

وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محرم الحرام / ١٤١٧ هـ

قم المشرفة

مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام



ثورة الحسين

هزّة ضمير وحياة رسالة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله

وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين

السلام عليك يا أباعبدالله...

السلام عليك يابن رسول الله...

السلام عليك يابن أميرالمؤمنين وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

السلام عليك وعلى أهل بيتك الميامين وعلى أصحابك الأبرار، ياليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً.

السلام عليكم أيها الإخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

في هذه الليلة، ليلة العاشر من محرّم، ليلة المأساة العظيمة التي لم يعرف تأريخ البشرية مأساة مثلها، في هذه الليلة أُريد أن أتحدّث إليكم قليلاً عن هذه المأساة وعن حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته العظيمة.

هدف المحاضرة

ونحن حين نتحدث عن هذه الحركة، عن هذه النهضة، هذه الثورة أو الانتفاضة أو أي اسم سمّيناها نريد أن نستخلص منها العبرة ونهتدي بهداها، لأنّ الحسين عليه السلام كما ورد على لسان المعصوم عليه السلام: **«مصباح الهدى وسفينة النجاة»** ولابد لنا من أن نهتدي بهداه ونتمسك بسفينته فإنّ مَن ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك وهوى.

ودراسة التأريخ ـ كما علّمنا القرآن الكريم ـ يجب أن تكون ذات هدف اجتماعي وأخلاقي وسياسي، وذلك من خلال استكشاف السنن المؤثرة في حركة المجتمع من ناحية، وأخذ الاعتبار من وقائع وأحداث التأريخ من أجل أن يتكامل الإنسان روحياً ومعنوياً من ناحية أُخرى، بالإضافة إلى استنباط المواقف وفهم الأحداث والأساليب التي يستخدمها الأعداء في محاربة الحقّ من ناحية ثالثة.

وهذا المنهج هو الذي يحسن، بل يجب على كل الباحثين والخطباء والكتّاب أن يلتزموا به عندما يتحدثوا عن التأريخ ويعملوا على تطبيقه على الواقع المعاش من خلال تشخيص المصاديق الخارجية المعاشة في هذا العصر للأحداث التاريخية الماضية، وهذا ما صنعه القرآن الكريم عند حديثه عن قصص الأنبياء وأقوامهم.

نظريات في تفسير ثورة الحسين عليه السلام

وقد اختلف أهل الهدى وأهل الضلال في تفسير ثورة الحسين عليه السلام وأهدافها ودوافعها الحقيقية اختلافاً بيناً وكبيراً، وإن كان هناك إجماع من عامة المسلمين على قبولها وتأييدها وإدانة الحكم الأُموي بسببها.

فالأعداء حاولوا أن يفسّروها بتفسير معيّن، ومَن آمن بالحسين وبخط الحسين وبإمامته عليه السلام فسروها بتفسير آخر، ومَن لم يؤمن بالحسين وبإمامته هو الآخر حاول أن يفسّرها بتفسير ثالث. قد لا يكون تفسيراً عدائياً ولكنّه فسّر هذه القضية من وجهة نظره الضيّقة وفهمه للحياة الإنسانية ولدور الحسين عليه السلام في هذه الحياة، كما سوف نعرف.

نحن هنا نريد أن نستعرض بشكل إجمالي بعض هذه النظريات في تفسير قضية الحسين وثورته لنتعرّف على التفسير الصحيح لها ونستكشف النظرية التي قامت الثورة على أساسها، وبالتالي نتعرّف على الدرس العملي الذي أراده الحسين عليه السلام من وراء هذه الثورة.

١ ـ ثورة الحسين عليه السلام صراع قبلي

هناك تفسير يقول: بأنّ حركة الحسين كانت حركة قبليّة (عشائرية) تعبّر عن الصراع المحتدم بين قبيلتين قرشيتين، كانتا تتصارعان على السلطة والهيمنة قبل الإسلام، واستمرّ هذا الصراع بينهما إلى ما بعد الإسلام، ذلك هو الصراع بين بني هاشم وبني أُميّة.

هذا التفسير تبنّاه (أعداء الحسين عليه السلام) ولعلّهم انطلقوا في هذا التفسير من دوافع يزيد (قاتل الحسين) عندما قال معبّراً عن رأيه في هذا المجال:

ليتَ أشياخي بِبدرٍ شَهِدوا جَزَعَ الخَزرجِ من وَقعِ الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يَزيدُ لا تُشَل
لَعِبت هاشِمُ بالملكِ فلا خَبَرٌ جاءَ ولا وحيٌ نَزَل[1]

وبعد ذلك سار على طريق يزيد في هذا التفسير بعض المؤرخين الحاقدين، حتى انتهى الأمر إلى أُولئك المستشرقين الذين حاولوا أن يفسّروا تأريخنا، بل يحاولون أن يرغمونا بشكل أو آخر على قبول هذا التفسير، بأساليبهم وبحيلهم وبأضاليلهم، فقد تبنى هذا التفسير مجموعة من هؤلاء المستشرقين وحاولوا أن يفسّروا القضية على أساس الصراع بين قبيلتين ـ

---

(١) راجع مقتل الحسين للمقرم ص ٣٥٧ وكذلك ص ٣٤٨. وتعليقة الآلوسي في روح المعاني ج٢٦ ص ٧٣. ويلاحظ أن بعض الأدباء والشعراء تأثروا بهذه الروح القبلية حيث كانوا يطالبون الهاشميين بأخذ الثار، كما تلاحظ ذلك في بعض شعر مرثيات الإمام الحسين عليه السلام.

بين بني هاشم وبني أُميّة ـ بل حاولوا أن يفسّروا الصراع بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أبي سفيان على أنّه امتداد لذلك الصراع القبلي والعشائري، لأنّ هؤلاء المستشرقين الذين يحاولون أن يظهروا أنّهم حياديّون تجاه هذا الصراع، لا يؤمنون بالنبوّة والوحي والرسالة الإسلامية، وبالتالي فهم ليسوا حياديين تجاه الإسلام ورسالته(١).

الحقائق الثابتة ترفض هذا التفسير

ولا يمكن أن ينسجم هذا التفسير مع الحقائق التأريخية، حيث أنّه إذا أردنا أن ندرس قضية الحسين عليه السلام من خلال مجموعة من الظواهر الثابتة تأريخياً ـ ونأخذ منها على سبيل المثال ظاهرة واحدة وهي ظاهرة أصحاب الحسين عليه السلام ـ نجد أنّ قضية الحسين لا يمكن أن تكون صراعاً بين عشيرتين أو قبيلتين، لأنّ أصحاب الحسين ـ سواءً كانوا من حيث الانتماء القبلي أو من حيث الانتماء القومي والشعوبي، أو من حيث الانتماء لمستوى الثقافة أو مستوى الوضع الاجتماعي، بل وحتى من حيث الانتماء المذهبي ـ يمثلون نماذج وعيّنات متعددة ومختلفة. حيث نلاحظ أنّ هناك اختلافاً عظيماً بين

---

(١) وهذه المحاولة تشبه محاولة (صدام وأسياده) لتفسير الصراع الدائر هذا اليوم بين الحقّ والباطل. بين الإسلام والكفر، صراع الحرب بين الجمهورية الإسلامية في ايران، بل بين الشعبين المسلمين العراقي والايراني من جهة، وبين نظام صدام الطاغوتي وقوى الاستكبار من جهة أُخرى، يحاولون أن يفسروا الصراع على أنّه صراع عنصري، صراع قومي أو صراع على الأرض أو النفوذ، وبالتالي فإن هذا التفسير للصراع يعتبر عن امتداد لتفسير حركة الحسين على أنّه صراع بين قبيلتين. وهكذا يصنع الطغاة والمتسلّطون، فإنهم يحاولون دائماً أن يتستروا على الواقع ويشوّهوا الحقائق لتحقيق مآربهم ويستوا الأشياء أو يفسّروها بطريقتهم الخاصة لتضليل الناس والشعوب.

هؤلاء، ولا يمكن أن تجمع كلّ هؤلاء أو توحّدهم قضية الصراع القبلي.

فإن قضية الصراع القبلي لا يمكن أن توحّد بين (جون) العبد الأسود، وبين (حبيب بن مظاهر) سيّد العشيرة العربي، كما أنّه لا يمكن أن توحّد بين أولئك الذين كانوا بالأمس أعداءً للحسين، كالحر بن يزيد الرياحي وزهير بن القَيْن وغيرهما من الأشخاص الآخرين الذين انضموا إلى الحسين أثناء المعركة عندما سمعوا حديثه أو استغاثته[1]، وبين مَن كان موالياً للحسين منذ اليوم الأوّل.

ثمّ ما هو الشيء الذي جعل زهير بن القَيْن يتحوّل عن (عثمانيته) وعن اعتقاده بخط العثمانية، الخط الّذي أسّسه معاوية لتبرير موقفه المعارض لعلي عليه السلام، والذي كان يدّعي أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنّه لابدّ من الأخذ بثأره، وأنّ وراء قتله كان علي بن أبي طالب عليه السلام. هذا الخط العثماني الذي كان يتبنّى مثل هذه الفكرة، وكان زهير بن القين إلى حين لقاء الحسين عليه السلام به في الطريق إلى كربلاء كان يتبنّى هذا الخط؟! لا يمكن أن نفترض أنّ زهير بن القين (وهو أحد زعماء هذا الخط) تحوّل من هذا الاعتقاد ـ الّذي يمثل القطب المعارض تماماً لخط أهل البيت عليهم السلام ـ إلى جانب الحسين عليه السلام، باعتبار أنّ الصراع كان صراعاً بين قبيلتين، بين بني هاشم وبين بني أُميّة، مع أنّ (زهير بن القين) كان في جانب بني أُميّة ومن خط بني أُميّة.

وكذلك موقف الحر بن يزيد الرياحي الذي كان إلى آخر لحظات المواجهة قائداً عسكرياً كبيراً يقود ربع جيش عمر بن سعد، ثمّ تحوّل إلى

---

(١) من هؤلاء الأشخاص: الانصاريان سعد بن الحارث وأخوه أبو الحتوف، والإخوان عبدالله وعبدالرحمن ابنا عروة الغفاريان، وأبو الشعثاء الكندي يزيد بن زياد.

جانب الحسين عليه السلام ليستشهد معه، لأنّه كان يخيّر نفسه بين الجنّة والنار، فاختار الجنّة في اللحظة الأخيرة.

إنّ ظاهرة أصحاب الحسين عليه السلام إذا درسناها بتأمّل نجد أن هذه الظاهرة ترفض بشكل قاطع هذه النظرية، خصوصاً إذا عرفنا أنّ أصحاب الحسين عليه السلام أنفسهم كانوا يعيشون الحقيقة بعقولهم كما كانوا يعيشونها بوجدانهم وضميرهم، وأنهم كانوا يعيشون الأوضاع السياسية والاجتماعية بكل ظروفها وبكل مواصفاتها وجزئياتها، لأنّهم قريبون منها وبعضهم كان يعيش قريباً من أوساط النظام الأُموي ومن أوساط الإمام الحسين عليه السلام.

وليس حالهم حالنا، حال مَن ينظر إلى التأريخ من خلال هذا الفاصل الزمني بيننا وبين الحسين عليه السلام وقضيته.

فهذه النظرية في الحقيقة (مرفوضة) ولا يمكن أن نأخذ بها، بل هي نظرية (معادية) بالأصل كما أشرنا.

مثل هذه الظاهرة هي إحدى الظواهر، وطبعاً هناك ظواهر كثيرة لا مجال لشرحها الآن، وإنّما نريد أن نشير إلى بعض هذه الظواهر من أجل أن نتبين الموقف من مثل هذا التفسير[1].

---

(١) هناك جملة من الظواهر تحتاج إلى دراسة مستوعبة، مثل:

١ـ ظاهرة البيعة العامة للحسين عليه السلام في الكوفة حتى من أولئك الذين كانوا يعيشون في أوساط السلطة والنظام.

٢ـ وكذلك ظاهرة موقف جيش يزيد وعبيدالله بن زياد الذي قاتل الحسين، حيث كان يسود قادته ـ أمثال عمربن سعد وشبث بن ربعي وغيرهما ـ التردد في الوقوف إلى جانب يزيد، مع أنّ أمثال هؤلاء كانوا يعيشون في عمق الأوضاع السياسية.

٣ـ وكذلك ظاهرة موقف الرأي العام الإسلامي الذي كان يؤيد الحسين عليه السلام والذي كان مغلوباً على أمره بالقهر والخوف، كالرأي العام في الحواضر ـ الكوفة والمدينة ومكة واليمن وغيرها. وتمرده على الحكم الأُموي ←

الأعداء يشوهون الحقيقة

إنكم ترون أن الأعداء يحاولون دائماً ـ عن طريق تقديم مثل هذه التفسيرات والتحليلات للمواقف الإسلامية الأصيلة التي تقوم على الحقّ والعدل ـ أن يحاصروا الحقّ ويقفوا في وجهه.

كما أنكم ترون كيف أن صدام يؤكد في هذا الصراع القائم بين الحقّ والباطل، وبين الإسلام وبين الكفر، على مثل هذه التفسيرات.

كيف يؤكد على قضية (العنصرية) وعلى قضية (المجوسية) وقضية التراب والوطن، مع أننا نعرف جميعاً أن الجمهورية الإسلامية قامت من أجل القضاء على العنصرية والمجوسية التي كان يتبنّاها الشاه بشكل فاضح وصريح وواضح، بحيث بدّل التأريخ الإسلامي إلى التأريخ المجوسي وإلى الشاهنشاهية المجوسية.

وأن الحرب والعدوان بدأ به صدام من أجل القضاء على الإسلام في إيران، وهو الذي قام بغزو واحتلال الأراضي الايرانية.

لقد كان صدام صديقاً للشاه أيام كان الشاه يدعو إلى العنصرية ويخطط من أجل أن يبعد إيران عن الإسلام والقرآن، ويحاول أن يستخرج ويبدّل حتى الكلمات العربية الموجودة في اللغة الفارسية ليستبدلها بكلمات فارسية، ويحاول أن يبدل كل مظاهر ايران التي ورثتها عن التأريخ الإسلامي بمظاهر

← بعد مقتل الحسين عليه السلام.

٤ ـ وكذلك ظاهرة رفض بيعة يزيد من قبل كبار الصحابة والتابعين أمثال عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير أو ترددهم في البيعة.

فارسية ومجوسية وغريبة عن الإسلام، هذا الشاه الذي كان يصنع هذا الشيء كان صديقاً لصدام ويدافع عنه صدام إلى اللحظات الأخيرة.

والجمهورية الإسلامية التي تريد أن تعيد للشعب الإيراني المسلم مجده وتراثه الإسلامي، وتريد أن ترجعه إلى اللغة العربية[١]، التي تمتد مع الإسلام، والتي تستوحي من الإسلام، تريد أن ترجعه إلى القرآن، إلى الحديث النبوي، وتبدل المعالم كلها إلى المعالم الإسلامية، هذه الجمهورية أصبحت جمهورية فارسية ومجوسية في نظر صدام!! والصراع معها صراع بين القوميتين العربية أو الفارسية!!

فالهدف هو محاصرة الحقّ ومواجهته بمثل هذه التفسيرات المضللة، كما صنع يزيد في مواجهة حركة الحسين عليه السلام.

وهذا درس لابد أن نأخذه أيضاً من نهضة الحسين عليه السلام إذا أردنا أن نستفيد من تجربة الإمام الحسين عليه السلام وثورته في فهم الأحداث التي نعيشها في حياتنا المعاصرة.

(١) تعليم اللغة العربية إلزامي في المدارس المتوسطة والثانوية في إيران وبنص دستور الجمهورية الإسلامية، وقد تبنت الجمهورية الإسلامية برنامجاً لحفظ وقراءة وتعليم القرآن الكريم.

٢ ـ ثورة الحسين‌ﷺ صراع على السلطة

هناك تفسير آخر يقدّم لحركة الحسين‌ﷺ يقول: إن الحسين‌ﷺ باعتباره إماماً معصوماً مفروض الطاعة ومُنصّباً من قبل الله سبحانه وتعالى، فهو أحق بالحكم من غيره.

والإمام الحسين‌ﷺ وجد أن يزيداً إنسان ضعيف في الحكم بعد موت معاوية، لا يملك القاعدة السياسية التي كان يملكها معاوية بدهائه وخبرته، وباعتبار أن يزيداً كان معروفاً بمجونه ومعروفاً بتمرده على الإسلام، ومعروفاً بفسقه ومعلناً بهذا الفسق ويتجاهر به، فهو إنسان معزول ومرفوض عن جمهور المجتمع الإسلامي، فالإمام الحسين‌ﷺ رأى من واجبه أن يسعى إلى السلطة من أجل أن يقيم حكم الإسلام العادل ويرجع الحقّ إلى نصابه.

إذن فهناك صراع بين الإمام الحسين‌ﷺ وبين يزيد على السلطة، ولكن لا من أجل الهيمنة والسيطرة فحسب، كما يقول التفسير السابق، وإنّما من أجل إحقاق الحقّ وإقامة العدل الإلهي، ولكن الحسين لم تؤاته الظروف رغم أنّ أهل الكوفة أرسلوا له آلاف الكتب ووعدوه بالنصرة والوقوف إلى جانبه، ولكنهم خذلوه في اللحظة الأخيرة، وإذا به يجد نفسه وحيداً فريداً غريباً وفي وضع مأساوي، الأمر الذي أدى إلى هذه النهاية المأساوية.

إذن فهدف الحسين كان هو (الوصول إلى السلطة) وإقامة الحكم الإلهي إقامة الحكم الإسلامي، إلّا أنّ هذا الإنسان الذي سعى الى هذا الهدف لم تؤاته الظروف ولم يتمكن من تحقيق هذا الهدف، وكان فشله في تحقيق هذا

الهدف بسبب خذلان أهل الكوفة له، ونتيجة لخذلان شيعته له وترددهم في اتخاذ الموقف المناسب معه.

هذا تفسير يذكره الكثير من المؤرخين وهو يتبادر إلى أذهان أكثر الناس، فالحسين عليه السلام باعتباره أنّه هو الأحق بهذا المنصب وهو الأحق بالخلافة، كما صرّح بذلك في عدة مواضع من نهضته، إذن فمن الطبيعي أن يسعى إلى هذا المنصب باعتبار المسؤولية التي يشعر بها اتجاه إقامة الحكم الإلهي في الأرض، وقد سعى بجد ونشاط وبتخطيط لتحقيق هذا الهدف السامي لا حباً بالسلطان، وإنما لإقامة العدل الإلهي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في أُمّة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أعلن عن ذلك في وصيته لأخيه محمد بن الحنفيّة.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يتمكن من الوصول إلى هذا الهدف لا لضعف في قيادته، وإنّما نتيجة لتخاذل الناس له، كما حدث بالنسبة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، فالإمام علي عليه السلام سعى إلى هذا الأمر واستلم الخلافة ولكنه لم يستمر في الخلافة باعتبار استشهاده على يد ابن ملجم، وبالتالي انتهى دوره في الخلافة. الإمام الحسين عليه السلام أيضاً سعى إلى هذا الموضوع وانتهى دوره باستشهاده، ولكن استشهاده كان في وضع مأساوي فجيع، بسبب طغيان عبيدالله بن زياد، ويزيد بن معاوية.

الأحداث ترفض هذا التفسير أيضاً

هذا التفسير لا نقبله أيضاً، ولا نؤمن به، لأننا نرى أن هدف الحسين عليه السلام من وراء هذه الحركة لم يكن الوصول إلى السلطة، لا بسبب أن السعي إلى الخلافة أوالسلطة وإلى الحكم الإسلامي وإقامة العدل والقسط بين الناس سعي

غير مشروع، أوأن الحسين عليه السلام لم يكن مسؤولاً عن ذلك، بل أن هذا السعي كان سعياً مشروعاً بل هو واجب إلهي، وأن الحسين عليه السلام، وكل إنسان سائر في خط الحسين عليه السلام يجب عليه أن يسير في هذا الطريق وأن يعمل من أجل تحقيق العدل الإلهي وإقامة حكومة العدل الإلهي، والحسين عليه السلام مسؤول عن هذا الأمر بطبيعة الحال إذا تحققت شروطه الموضوعية. هذه المسألة مسألة واضحة وليست مورد نقاش وشك..

ولكن مع ذلك فالحسين عليه السلام لم يكن هدفه من وراء هذه الحركة تحقيق هذا الشيء، وذلك لأنه كان يعرف أنّ هذا الشيء لا يصل إليه خارجاً بسبب إدراكه لطبيعة الظروف السياسية والنفسية والاجتماعية للأُمّة، وكانت هذه النتيجة واضحة بالنسبة للحسين عليه السلام.

ونحن إنّما نرفض هذه النظرية ـ نظرية أن يكون هدف الحسين عليه السلام من ثورته هو الوصول إلى السلطة فحسب ولكن لم يتمكن من ذلك، بحيث نفترض بأن الحسين عليه السلام لو كان يعرف النتائج وأنّه لا يصل إلى السلطة ولا إلى الحكم لجلس في بيته، كما جلس أخوه الحسن عليه السلام بعد الهدنة مع معاوية، أوكما جلس أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة رسول الله ـ لأننا نقول إن الحسين عليه السلام كان يعرف منذ البداية النتائج التي حصلت له، وأنّه لا يتمكن من الوصول إلى السلطة، ومع ذلك تحرك في مواجهة حكم يزيد، إذن فهذا التحرك لم يكن بهدف الوصول إلى السلطة، مع أن هذا الوصول إلى السلطة ـ كما قلت وأؤكد ـ أنه هدف مشروع وصحيح ويجب العمل أيضاً من أجله، ولكن إذا توفرت الظروف والشروط الموضوعية لنجاحه.

وإنما نرفض هذه الفكرة لأننا ـ كما قلنا ـ نعرف بأن الحسين عليه السلام كان على معرفة بالنتائج، ذلك لأنّ الظروف الموضوعية للنجاح في تحقق هذا الهدف

الخاص لم تكن متوفرة، وكان الإمام الحسين عليه السلام يدرك عدم توفر هذه الظروف منذ البداية، ومع معرفة الحسين عليه السلام بذلك لا يمكن أن نفترض أن الهدف هو الوصول إلى السلطة، لأن معنى ذلك أن الحسين كان يسعى إلى هدف غير واقعي مع تقدير للوضع السياسي، ويكون عمله حينئذٍ مجرد عمل انتحاري، وهذا لا ينسجم مع شخصية الإمام الحسين وتجاربه السياسية والاجتماعية، كما لا ينسجم مع فرضية إمامته وأنّه الأحق بالخلافة.

ويمكننا أن نعرف هذه الحقيقة من خلال عدة أُمور يعرفها الإنسان عند مطالعته ومراجعته لتأريخ الحسين عليه السلام بشكل واضح:

الأمر الأول: هو أن العقلاء من خلّص أصحاب الحسين عليه السلام، أومن غيرهم من أصحاب الرأي وممّن لهم معرفة بالأوضاع السياسية في ذلك الزمان، كلّهم كانوا متفقين على أن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق للحسين عليه السلام.

فمثلاً عبدالله بن عباس ـ الذي كان يعتبر من حكماء العرب بحيث أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام اختاره مندوباً عنه في قضية التحكيم في صفين، لكنّ المنافقين والجهلاء من أصحاب علي عليه السلام رفضوا ذلك ـ كان ينصح الحسين عليه السلام بعدم التوجه إلى الكوفة، لأنّ أهلها سوف يخذلونه في النهاية، وهكذا كان موقف كل من محمّد بن الحنفية (أخ الحسين لأبيه) وعبدالله بن جعفر (ابن عم الحسين) وأُم سلمة وجماعة أُخرى ممّن يحبّون الحسين ويخلصون له[1]، حيث كان رأيهم هو أنّ الحسين عليه السلام وسوف لا يصل إلى هذا الهدف، وحذّروا الحسين عليه السلام من الموقف العام لأهل الكوفة وغيرهم من المسلمين الذين طلبوا منه القيام والنهوض، وما يمكن أن يتحقّق من

---

(١) راجع مقتل الحسين للمقرم ص ١٣٤ ـ ١٣٨ نقلاً عن الطبري وغيره من أرباب المقاتل.

خذلانهم له، وأنهم صنعوا بأبيه وبأخيه في السابق ما صنعوا من تخاذل ونفاق وعدوان، وغير ذلك من التحذيرات التي تجدونها في الكتب التأريخية.

وقد جاءت نهاية المأساة متطابقة أيضاً مع ما قاله هؤلاء المخلصين للحسين عليه السلام، وكان ما ذكروه يمثّل الحقيقة بعينها.

ونحن أزاء ذلك لا يمكن أن نفترض أنّ الحسين عليه السلام - الذي هو وريث محمد صلى الله عليه وآله ووريث الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام، وعاش مختلف الظروف والتجارب والتحولات والتغييرات التأريخية والسياسية - غير مدرك للحقيقة التي أدركها هؤلاء المستشارون، وهؤلاء المخلصون الذين كانوا إلى جانب الحسين عليه السلام وأكدوا له النتائج التي وقعت، وذكروا له أنه لا يمكن في مثل هذه الظروف السياسية أن يتحقق هذا الانتصار والوصول إلى الحكم.

فهل من المعقول أن يكون هؤلاء قد توصلوا إلى هذه الحقيقة وأدركوا هذا الأمر وبقي ذلك بعيداً عن حسابات الحسين عليه السلام وتوقعاته؟! ثم هل كان الحسين عليه السلام يتصور - نتيجة لرسائل أهل الكوفة ولإصرارهم وإلحاحهم عليه بالثورة - أنه يتمكن أن يصل إلى هذا الهدف الخاص مع أنّ كل هؤلاء أجمعوا على أنّ هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق؟!

الأمر الثاني: موقف الحسين عليه السلام وإصراره على المضي في طريقه، بعد أن تدهور الوضع السياسي في الكوفة بمقتل مسلم بن عقيل ورسوله مسهر بن قيس الصيداوي وغيرهما، وتوارد الأنباء عليه بهذه الحقائق، وتُقدم له النصائح بالرجوع عن مقصده ومع ذلك كان يصر على الاستمرار في الحركة، ويترك للآخرين أن يختاروا مصاحبته أو تركهم له.

الأمر الثالث: وهو أوضح من الأولين في رفض هذا التفسير، وهو النصوص التي وردت عن الحسين عليه السلام وأهل البيت الكرام والنبي صلى الله عليه وآله، والتي تؤكد على

أن الحسين وأهل البيت كانوا على اطلاع على هذه المأساة وتفاصيلها.

فمن ذلك ما ورد على لسان الحسين عليه السلام خلال مسيرته نحو كربلاء في عدة مواضع من أنّ مصيره، هو القتل حتماً هو وأهل بيته وأطفاله وعياله.

ومن ذلك رؤياه لرسول الله صلى الله عليه وآله في الحرم المدني عند الوداع(١).

ثم بعد ذلك خطبة الحسين عليه السلام عندما خرج من مكة متوجهاً إلى الكوفة قبل أن ينكشف أهل الكوفة عن موقفهم الحقيقي، وكانت الكتب والرسائل حينذاك تتوارد عليه من أهل الكوفة في ذلك الوقت بالمئات، وأكدها سفيره ورسوله وابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام.

فقد خطب الحسين عليه السلام في ذلك يقول:

«خُطَّ الموتُ على ولد آدم مَخَطَّ القلادةِ على جِيدِ الفتاة»(٢).

ثم قوله أيضاً:

«وكأني بأوصالي هذه تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»(٣).

بالإضافة إلى أنّ هناك روايات كثيرة وردت عن الرسول صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن فاطمة الزهراء عليها السلام تؤكد وقوع هذه المأساة للحسين عليه السلام(٤)، وإخبارهم عنها.

إذن فنحن مع ملاحظة موقف الحسين ومسيرة الحسين نرى بأنه كان متأكداً من هذه النهاية، والإنسان الذي يكون متأكداً من هذه النتيجة لا يمكن

---

(١) يراجع في الاشارة إلى بعض الموارد مقتل الحسين عليه السلام ص ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) بحار الانوار ٤٤ / ٣٦٦.

(٣) راجع في الإشارة إلى بعض الموارد مقتل الحسين للمقرم ص ٦٤ و٦٥. وفي تفصيلها مواقع ذكرها في كتب المقاتل.

(٤) راجع البحار: ج ٤٤ ص ٢٢٣ ـ ٢٦٨ باب: ٣٠ و٣١.

أن يخطر بباله أنه سوف يصل إلى الحكم، أوسوف يصل إلى تحقيق العدل الإلهي من وراء هذه الحركة التي قام بها.

إذن لم يكن الهدف الخاص عند الحسين عليه السلام في حركته هو الوصول إلى السلطة الذي تفترضه هذه النظرية، بحيث نفترض بأن الحسين فشل في تحقيق هدفه، أوأنه لم يكن قادراً على التحليل الصحيح للظروف والأوضاع السياسية أو تعرّض لخدعة كبيرة.

نعم تعرّض لخيانة كبيرة، ولكن الفرق بين الخيانة والخدعة واضح.

إذن فهذه النظرية مرفوضة أيضاً.



٣- ثورة الحسين عليه السلام كانت بعامل أخلاقي

هناك تفسير آخر ثالث يعتمد على افتراض أن هذا التحرك والنهوض كان بدوافع أخلاقية ذاتية، تنطلق من العوامل النفسية والأخلاق الإسلامية العربية التي كان يتصف بها الحسين عليه السلام، ويقال في توضيح ذلك: بأن الحسين عليه السلام كان أبيّ الضيم، وإنساناً شريفاً وعزيزاً وكريماً، وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن هذا البيت المجيد، هذا الإنسان الشريف لا يمكن أن يخضع لإنسان وضيع، ملحد، فاسق، فاجر، إلى غير ذلك من الصفات التي كان يتصف بها يزيد الأموي. إذاً فهذا الإنسان باعتبار أخلاقياته وصفاته النفسية العالية لا يمكن أن يبايع يزيد ويضع يده بيد يزيد، وقد عبّر عن ذلك في قوله عليه السلام:

«والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»(١).

أو قوله لوالي المدينة (الوليد):

«أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة ومعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»(٢).

هذا التفسير الذي تُفسّر به حركة الحسين عليه السلام تفترض أن المسألة مسألة

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٢٨٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٤٤.

أخلاق، مسألة إباء الضيم، مسألة العزة، مسألة الكرامة، فالإنسان عندما يكون عزيزاً فإنّه لا يمكن أن يخضع للذل، والحسين عليه السلام تعرض لمحاولات الإذلال والامتهان فأبت نفسه الزكية الأبية الذل والخضوع، وبالتالي انتهت الأُمور إلى أن تقع هذه المأساة، مأساة قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وسبي عيالاته، إلى غير ذلك من المآسي التي تعرفونها من واقعة كربلاء.

هذا تفسير آخر يقدم للهدف من حركة الحسين عليه السلام.

وتوجد عشرات الآلاف من (الأدبيات) الحسينية تتحدث عن هذا التفسير وهذه الأخلاق، كما توجد ملامح لهذا التفسير في بعض خطب الحسين عليه السلام وفي بعض كلماته التي ذكرنا بعضها قبل قليل، وكلمات أُخرى عديدة.

«ألا وإنّ الدّعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، إما الذلّة أوالسلة، وهيهات منّا الذلّة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون.. ونفوس أبية وحجور نقية...»[1].

فما هو موقفنا من هذا التفسير؟

حركة الحسين عليه السلام ليست أخلاقية فحسب

وفي الواقع أنّ هذا العامل الأخلاقي، وإن كان يشكل جزءاً مهماً من حركة الحسين عليه السلام، وهذا الهدف ـ هدف رفض الضيم ورفض الذل والخضوع ـ وهذه الأخلاقية التي يتمثل بها الحسين عليه السلام وإن كانت تشكل جزءاً من الأهداف الإسلامية ومن تحرّك الحسين عليه السلام، إلّا أنّها لا يمكن أن تكون هي التفسير الكامل لحركة الحسين عليه السلام كلها، وبالتالي فلا يمكن أن يمثل هذا

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام المقرم: ٨٢.

التفسير نظرية هذه الثورة وتفسيراً لكلّ تفاصيل هذه الحركة وجميع أبعادها.

وذلك لأنّ الحسين عليه السلام ـ كإمام يتحمّل مسؤوليات تجاه الأُمة الإسلامية ـ لا ينطلق في تحركه من المشاعر الخاصة والعواطف أوالأحاسيس الأخلاقية الذاتية النبيلة فحسب، بل ينطلق أيضاً من المصالح الإسلامية العليا للدين والأُمة، والواجبات والمسؤوليات العامة حتى لوكانت على حساب العواطف والأحاسيس النبيلة والأخلاق الإسلامية الذاتية الخاصة.

ولذا فقد يفرض على الإمام الحسين عليه السلام أحياناً أن يقف موقفاً يتسم بالتنازل أوبالذل من أجل مصلحة إسلامية أكبر وأعظم. كما وقف الإمام الحسن عليه السلام في الهدنة مع معاوية وعلى خلاف ميوله وعواطفه النبيلة، ويؤكد ذلك: «**ان الحسن والحسين إمامان إن قاما أوقعدا**»(١) ـ كما قال رسول الله ـ أي أن كليهما من حيث الإمامة متساويان وهما تربيا في بيت واحد، في حجر واحد، من أم واحدة، ومن أب واحد، ومن جد واحد، أي أنهما لا يختلفان في شيء من الأشياء النفسية العامة أوالأخلاقية أوالاجتماعية.

وأخيراً فهما عاشا معاً جنباً إلى جنب، ومن هنا لا يمكن أن نفترض أن أخلاقية الإمام الحسن عليه السلام ـ بشكال عام ـ تختلف عن أخلاقية الإمام الحسين عليه السلام، وبالتالي فنفترض أن أحدهما يرضى بالضيم والآخر لا يرضى بالضيم، هذا يرضى بالذل وذلك لا يرضى به(٢).

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٨٢.

(٢) طبعاً عندما نتحدث عن المساواة بين الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام لا نريد بذلك المواصفات النفسية بتفاصيلها فإن كل إنسان يختلف عن الآخر ببعض هذه التفاصيل أوالكثير منها، بل نريد من ذلك المواصفات العامة ومبادئها وقيمها ومنطلقاتها.

اننا إذا افترضنا أن حركة الحسين كانت منطلقة (فقط) من قضية أخلاقية ذاتية فردية وهي قضية رفض الظلم والذل، فسوف نواجه - إذن - التساؤل بالنسبة إلى الإمام الحسنعليه السلام، هذا الإنسان الذي عاش إلى جنب الإمام الحسينعليه السلام وهو إمام أيضاً ومع قطع النظر عن إمامته فإن الإمام الحسنعليه السلام عاش نفس ظروف الإمام الحسينعليه السلام ونفس الأخلاقية، ونفس الأوضاع والمستوى الاجتماعي، والنسب والانتماء العائلي، ومن حيث التربية ومن حيث كل الخصوصيات، فلماذا تكون هذه الأخلاقية موجودة في هذا الإنسان وليست موجودة في ذلك الإنسان؟!

الإمام الحسينعليه السلام في يوم عاشوراء أيضاً أشار إلى هذا البعد وهذه الحقيقة، وتحدّث عن موقفه، وأنّه ليس موقف رفض الضيم وحده.

فإن (المناقبية العربية) كانت ترى أنّ مسألة رفض الضيم والذل الشخصي مسألة ليس وراءها مسألة أكبر، وهي شيء أهم من كل شيء في حياة الفرد الإنسان العربي، إلّا أنّ المسألة ليست كذلك في الأخلاقية والمناقبية الإسلامية، وإنما نظرة الإسلام إلى هذه القضية أنّ هذا شيء مهم في حياة الفرد الإنساني وهدف من أهداف الإنسان في حياته، إلّا أن هذا الهدف ليس كل شيء في حياة هذا الإنسان.

والفرق إنّما هو في النظرة الكلية إلى الحياة، حيث كان الإنسان الجاهلي العربي يرى الحياة محصورة في الحياة الدنيا، والمناقبية فيها هي العزة والكرامة الفردية، فهي أهم شيء في هذه الحياة، وأما في النظرية الإسلامية فالحياة هي الآخرة، والدنيا هي طريق لحياة الآخرة، ومقياس المناقبية في الحياة هو عمل ما يرضي الله تعالى وينفع المجتمع الإنساني في تكامله وعلى المدى الطويل، وبذلك تصبح العزة والكرامة الفردية إحدى المفردات في

حياة هذا الإنسان، والتي قد تزاحمها أو تقترن بها كرامات ومصالح أُخرى للمجتمع الإنساني بشكل عام، أو إحدى المقامات العالية في الدار الآخرة، كما في الذلّة للوالدين أو المؤمنين، أو لولي الأمر الواجب الطاعة، أو لمصلحة إسلامية أُخرى أكبر.

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام في كلامه إلى هذه الحقيقة يوم عاشوراء عندما قال:

المـوتُ أَولى مـن ركـوبِ العـارِ والعـار أولى مـن دخـول النـار[1]

التفتوا إلى هذه النقطة، ان الإمام الحسين عليه السلام يقول إذا ترك الخيار للفرد الإنساني بين الموت وركوب العار، فالموت أهون عنده من ركوب العار، إذن فالعار والذل والضيم مرفوض بدرجة أنّ الموت أهون وأقل شأناً من العار، ولكن لدى الإنسان هدف أعلى وأسمى من كل شيء، أسمى من الموت، وأسمى من الكرامة الذاتية، هو (رضا الله) سبحانه وتعالى، و(الدخول إلى الجنة).

وفي سبيل ذلك يتحمل الإنسان شيئاً أشد وقعاً عليه من الموت وهو العار، يتحمل هذا الإنسان الأخلاقية الإنسانية العالية هذا العار في سبيل أن يكسب رضا الله سبحانه وتعالى، وفي سبيل الموقف الصحيح الذي يخدم به الإسلام[2].

---

(١) بحار الانوار ٤٤: ١٩٢.

(٢) ومن هنا نعرف أن الإمام الحسن عليه السلام كان إنساناً مظلوماً مظلومية لا نظير لها، أي أنّ هذا الإنسان العظيم ابتلي في موقفه هذا بشيء أشد من الموت، باعتبار أن مصلحة الإسلام العليا فرضت عليه موقفاً أشد عليه من الموت، ولو ترك الخيار للإمام الحسن عليه السلام لاختار أن يموت كما مات الحسين عليه السلام ولكان ذلك أقرب ←

والإمام الحسين عليه السلام يعبر لنا عن موقفه هذا ـ كما ذكرنا ـ عندما يقول: **«والعار أولى من دخول النار»**.

إذن فالمعركة في الحقيقة ليست معركة رفض ظلم وذل فقط أو إباء ضيم، هناك شيء أكبر وأعظم من مسألة رفض الظلم، رغم أن رفض الظلم هدف أو أهداف الإنسان الذي قد يتحمل الموت أيضاً من أجله، وهذا الشيء والهدف الأعظم هو رضا الله سبحانه وتعالى وتحقيق السعادة الأبدية لهذا الإنسان في الحياة الأُخرى.

التصور الإسلامي تجاه الضيم

ويمكن أن نلخّص التصور الإسلامي تجاه قضية الذل والضيم، انّ الإسلام يفرض على الإنسان أن يكون عزيزاً وكريماً في حياته. كما دلّت الآيات الكريمة على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً**﴾(١)، أوما يفهم من موضوع الأمر الإلهي للملائكة بالسجود، وكذلك الآيات التي تشير إلى صفات المؤمنين بأنّهم ﴿**أعزّة على الكافرين**﴾(٢)، أوالتي تقول: ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**﴾(٣)، أوالأحاديث التي تؤكّد على أنّ المؤمن لم يأذن الله تعالى له أن

← إلى نفسه، ولكن فرض عليه لسبب من الأسباب ـ ليس الآن محل تفصيله وشرحه ـ أن يقف مثل هذا الموقف في الهدنة مع معاوية من أجل المصالح الإسلامية العليا، ونحن نتبنى تفسيراً لموقف الإمام الحسين عليه السلام يجعل من موقفه امتداداً لموقف الإمام الحسن عليه السلام.

(١) الاسراء: ٧٠.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) النساء: ١٤١.

يذلّ نفسه لأنّه لا يملك ذلك، أوالتي تقول: «**لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً**»(١)، فإنّ كل ذلك يؤكّد هذه الحقيقة.

ومن هنا أصبح الذل والضيم أشد على الإنسان من الموت نفسه، وصحّ للإنسان أن يجاهد ويقاتل من أ جل الخلاص من الذل والضيم، والدفاع عن النفس.

ولكن الذل والضيم الذي يواجهه الإنسان على نوعين:

أحدهما: الذل والضيم الشخصي.

وثانيهما: الذل والضيم الاجتماعي الذي يتعرّض له المجتمع بجميع جوانبه ومقوماته وابعاده.

والنوع الثاني هو الأشد والأولى في المقاومة والمواجهة، وهو الذي يمارسه الطغاة والجبابرة تجاه المجتمعات الإنسانية.

ومن هنا أيضاً دعى الإسلام والقرآن لمواجهة الذل والضيم ـ الذي يعبّر عنه بالظلم حينما يتعرّض المجتمع إلى ذلك أيضاً ـ كما في قوله تعالى:

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وآجعل لنا من لدنك وليّاً وآجعل لنا من لدنك نصيراً﴾(٢) وقوله تعالى: **﴿أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير﴾**(٣).

وأصبح بذلك رفض الظلم والضيم مبدأ أخلاقياً إسلامياً رفيعاً وعالياً.

---

(١) بحار الانوار ٧٧: ٢٨٨ حديث: ٢.

(٢) النساء: ٧٥.

(٣) الحج: ٣٩.

وفي هذا المجال يجب أن نلتفت إلى نقطتين مهمتين لهما تأثير في فهم هذا المبدأ الأخلاقي ونتائجه وآثاره:

الأولى: أنّ الإسلام ينظر إلى الحياة على أساس أنّها طويلة وممتدة، وأنّ الأصل فيها هي الحياة الآخرة، وأنّ الذلّ الحقيقي هو الّذي يواجهه الإنسان في الحياة الآخرة عندما يخرج عن طاعة الله تعالى في الحياة الدنيا.

ومن هنا أصبح رضا الله تعالى مقدماً على كلّ شيءٍ في هذه الحياة.

ولابد من النظر إليه في اتخاذ الموقف تجاه موضوع الضيم والذل، فالعبودية لله تعالى هي أفضل ألوان العزّة والكرامة «**كفاني عزّاً أن أكون لك عبداً وكفاني فخراً أن تكون لي ربّاً**»[1] وتصبح الذلّة للمؤمنين وللوالدين والتواضع لهم من أفضل الأعمال والصفات ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ لأنّها توجب رضا الله تعالى وتحقّق المصالح العليا في تماسك المجتمع، وكذلك الطاعة والتسليم لأولياء الأُمور الشرعيين، وللحكم والقضاء الشرعي.

﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾[2].

وبهذا تختلف النظرة الإسلامية لهذا المبدأ عن النظرة الجاهلية والمناقبية العربية، فإنّها كانت تنظر إلى قضية الذل والضيم من زاوية الحمية الشخصية أو العائلية أو القبلية فقط.

والثانية: أنه لابد من التمييز بين الذل والضيم الفردي، وبين الذل والضيم الاجتماعي بالنسبة إلى الأفراد الذين يتحملون مسؤوليات اجتماعية، مثل

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠: ٢٥٥.

(٢) النساء: ٦٥.

الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار أوأولياء الأُمور من المؤمنين، كالقادة والعلماء وغيرهم، حسب اختلاف مراتبهم، فإنّ هؤلاء لابدّ لهم أن ينظروا إلى هذا المبدأ الأخلاقي من خلال مسؤولياتهم والحالة الاجتماعية العامة، لا من خلال أوضاعهم الفردية الشخصية الخاصة، فإنّ مسؤوليتهم ـ بالأصل ـ ترتبط بهذا الجانب العام للمجتمع.

ولذا فقط يكون من الواجب عليه أن يتحمّل بعض ألوان الذل والضيم لتحقيق مصالح إسلامية عامة مرتبطة بالمجتمع أوالجماعة. ولكن عندما تصبح قضية الذل والضيم ذات بعد اجتماعي عام مرتبط بالأُمة أوالعقيدة، أوذات مستوى عالٍ يضر بمصالح المجتمع الكليّة فالموقف تجاهها يكون مختلفاً.

وبهذا الصدد يمكن أن نفهم الموقف الذي وقفه الإمام علي عليه السلام حينما يقول «**لأسلّمن ما سلمت أُمور المسلمين وكان الجور عليّ خاصة**»[1]، أوموقف الإمام الحسن عليه السلام الذي أراد أن يحفظ قوة المجتمع الإسلامي من ناحية، واستمرار وجود الجماعة الصالحة من ناحية أُخرى، وكشف الحقيقة للادعاء الأُموي من ناحية ثالثة، فتحمّل شخصياً هذا اللون من الأذى.

وأمّا عندما تطوّرت الأوضاع في زمن الإمام الحسين عليه السلام فأصبحت ممارسة الإذلال منهجاً للحكم تجاه المسلمين جميعاً، وأدرك المسلمون ذلك. وأخذ الحكم ينظر إلى الجماعة الإسلامية والأموال الإسلامية أنّها ملك يده، يتصرّف بها كيف يشاء كما بيّن ذلك الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا**»، وكشف يزيد ـ بعد ذلك ـ عن هذه الحقيقة عملياً بموقفه

---

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح ١٠٢ الخطبة: ٧٤.

عندما أخذ البيعة من أهل المدينة المنوّرة بعد عام من مقتل الحسين عليه السلام في واقعة الحرة، أخذ منهم البيعة على أنّهم (عبيد أرقّاء ليزيد)، وقام بذلك قائد جيشه (مسلم بن عقبة). عندما تصبح الأوضاع بهذا الشكل يكون الموقف له منحاً واتجاه آخر.

وبذلك يمكن أن نعرف أنّ حركة الإمام الحسين وإن كانت ذات منطلق أخلاقي أيضاً ولكنّها ليست منطلقة من مبدأ الأخلاقية الذاتية، وليست هذه الأخلاقية هي مجرّد رفض الظلم والضيم، بل إلى جانب ذلك شيء آخر مهم يرتبط بمصالح الأُمة والإسلام كما سوف يتّضح قريباً.

إذن فهذه النظرية ـ التي تقول بأنّ الحسين إنسان عربي، من بيت شريف عظيم، ذي أخلاقية عالية تفرض عليه رفض الظلم والذل، فهو قد ثار وقتل نفسه وأهل بيته وأطفاله أو عرّضهم للخطر من أجل هذا الإحساس ـ أيضاً مرفوضة وإن كان الحسين عليه السلام يتصف بكل هذه الصفات الحميدة وهو يرفض الذل أيضاً وقد يتعرّض للموت من أجل رفض الذل، لكن حركته هذه لم تكن لهذا الهدف فحسب كما ذكرنا.

٤ ـ ثورة الحسين عليه السلام قضية غيبية

هناك نظرية أُخرى في تفسير نهضة الحسين عليه السلام، هي ما يمكن أن نسمّيه بـ (النظرية الغيبية). هذه النظرية تقول إنّ الحسين إمام معصوم، والله سبحانه وتعالى كتب عليه منذ أن خلق الخلق، منذ أن خلق (الذر)، كتب عليه أن يموت في كربلاء بهذا الوضع المأساوي المعيّن بالطريقة التي تشرحها (المَقَاتِل).

إضافة إلى ذلك تقول هذه النظرية إنّ الإنسان العادي لا يمكن أن يعرف حكمة هذا السرّ الغيبي والقرار الإلهي، فإنّ هذا سرّ من أسرار الله سبحانه وتعالى وقضية غيبية!! وبالتالي فنحن لا يمكننا أن نسير في خط الحسين أو نتأسّى بالحسين، لأنّ هذه المسألة مسألة فريدة وخاصة بشخص الحسين عليه السلام، مسألة مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، بشّر بها الأنبياء قبل النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، كما بشّر بها النبيّ صلى الله عليه وآله وبشّر بها أميرالمؤمنين وفاطمة عليهما السلام، وهناك روايات في هذا الموضوع[1].

كما أنّه ـ أي الحسين ـ أخبر بهذه النهاية المفروضة من الغيب عليه، كما تحدّثت بذلك قصة الحلم الذي رآى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، وكما يشير إلى ذلك جواب الحسين عليه السلام: «شاء الله يراهنّ سبايا»[2] عندما سئل عن السر في

(١) اشرنا إلى مصادرها في كتاب بحار الأنوار آنفاً.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.

اصطحاب عياله معه، مع أنّه يعرف أنّ مصيره القتل، ولهذا أخذ عائلته وجاء بهم إلى كربلاء وعرّضهم للسبي، فهو أمر إلهي مخصوص بالحسين عليه السلام ينفّذ بطريقة معيّنة، من أجل أن يستفيد شيعة أهل البيت (حفظهم الله) من هذه المأساة بعد ذلك فيجلسون المجالس ويقيمون الشعائر (التعازي) النافعة ويبكي منهم من يبكي، فيحصلون على الأجر والثواب من ذلك، ويبذلون الطعام والشراب لفائدة الفقراء والمساكين، ويرتقي الخطباء المنابر ليتحدّثوا عن قضية الحسين وأهل البيت عليهم السلام وعقائدهم وأخلاقهم ويثيرون العواطف ويستدرون الدموع... الخ، وبالتالي أيضاً يستفيدون ويفيدون الناس!!

وأنتم تسمعون على ألسنة الكثير من الناس العاديين بعض هذا الكلام: (الحمد لله «سُفرة» الحسين واسعة والناس ينتفعون منها...) وكذلك الخطباء ينتفعون منها. فإن هذا التبليغ والتثقيف تحقّق بسبب قضية الحسين عليه السلام!! أي يراد إعطاء هذه القضية حالة خاصة بالحسين، فهي فريدة في التأريخ لا يمكن التأسّي بها والاقتداء بمنهجها ومضمونها وآثارها ـ فقط ـ في أنّ الإنسان الذي يبكي على الحسين يحصل على الثواب وفي يوم القيامة يحشر في الجنّة.. الخ.

ونحن هنا لا نريد أن نشكك في حقيقة الأجر والثواب المترتّب على التفاعل مع قضية الحسين عليه السلام خصوصاً في المجالس والبكاء والزيارة وبذل الطعام، إنّ هذا البكاء بلا شك هو بكاء صحيح ويثاب عليه هذا الإنسان العاشق المحب للحسين، بل ويحشر في الجنّة إن شاء الله، بسبب هذا التفاعل مع هذه القضية، إلّا أنّ ما نعنيه هو أنّ هذه النظرية تريد أن تحوّل قضية الحسين بأكملها إلى هذه الأُمور المستحبة، وترجع قضية الحسين إلى أمر غيبي مجهول دون أن يكون لها صلة بحياتنا البشرية والعملية.

نهضة الحسين اطروحة الهية للبشرية

وهذه النظرية مرفوضة أيضاً، لماذا؟ لا لأنّنا نرى أنّ هذه المظاهر والشعائر لا تمثّل شيئاً من الحسين، لا فإنّ هذه المظاهر والشعائر الصحيحة هي جزء من قضية الحسين، ولها أهمية في تحقيق أهداف قضية الحسين ولها دور عظيم في النتائج والآثار، ولابد لنا من التأكيد عليها، ولكن مع ذلك نحن نريد أن نعرف عمق القضية وواقعها ومدى ارتباط كل هذه المظاهر والشعائر بها، حتى تتمثّل هذه القضية تمثلاً حقيقياً في واقعنا السياسي والاجتماعي، وفي وجداننا ومشاعرنا، وفي التزاماتنا وعهودنا ومواثقينا.

وحينما نؤكّد على هذه المظاهر والشعائر الصحيحة التي ندب للقيام بها أهل البيت عليهم السلام، نعرف بوعي عندئذٍ أنّ هذه المظاهر والمجالس والأعمال هي أدوار حقيقية تعبّر عن شيء آخر حقيقي مفهوم لنا في حياتنا الإنسانية، يمكن أن نسير على طريقه وعلى ضوئه ونقتدي به ونستضيء بهداه.

ولنعد إلى سؤالنا، وهو أنّه لماذا نرفض هذه النظرية؟

الجواب: أنّ الله تعالى لو قال لنا في شأن أئمّة أهل البيت ـ ومنهم الحسين عليه السلام ـ: إن هؤلاء لهم (أحكام خاصة) ولهم (أدوار خاصة) ولهم حياة وممارسات خاصة بهم، وإن هؤلاء عندما يقومون بعمل لا يعنيكم أمرهم وعملهم!! ولا يجب عليكم الالتزام به أوالأخذ منهم، كان من الممكن ـ في هذه الحالة ـ أن تقبل هذه النظرية، لأنّ هؤلاء مكلّفون بتكليف معيّن ولهم دور معيّن، وهذا الدور المعيّن قام به هذا الإنسان الذي اختاره الله له، والله أعلم بهذا الدور، وبالسر الذي يكمن وراءه!!

ولكنّكم تعرفون أيّها الإخوة وكل مسلم يعرف: أنّ هؤلاء الأئمّة جعلهم

الله سبحانه وتعالى قدوة لنا، كما ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وآله: «**الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**»(١).

ومعنى الإمامة هو أن يتقدّم هذا الإنسانُ في الطريق وعلى الناس اتّباعه وطاعته والسير وراءه والاقتداء به، فقد قال تعالى لنبيّه إبراهيم عليه السلام: ﴿**إنّي جاعِلُك للناس إماماً...**﴾(٢).

وقال على لسان عباده الصالحين: ﴿**واجعلني للمتّقين إماماً**﴾(٣).

وقال تعالى مخاطباً للمؤمنين: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾(٤).

وقال معلّماً لنبيّه أن يخاطب الناس: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾(٥).

وقال واصفاً الأنبياء والمرسلين: ﴿**أُولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده**﴾(٦).

إلى غير ذلك من الآيات، ودلّت على ذلك الكثير من الروايات والأحاديث المروية عن النبيّ وأهل بيته الكرام.

فهذا العمل العظيم الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام لا يراد منه أن يكون مختصاً بالحسين كشخص، وأن يكون سراً لا يفهمه إلّا الله سبحانه والراسخون في العلم دون أن يكون للناس علاقة به.

بل يراد من هذه النهضة أن يتأسّى بها الناس ويسيروا على ضوئها

(١) بحار الأنوار ٣٦: ٣٠٥.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الفرقان: ٧٤.

(٤) الأحزاب: ٢١.

(٥) آل عمران: ٣١.

(٦) الانعام: ٩٠.

وهداها ويلتزموا بمنهجها معها، كما أنها منطلقة من رؤية وفهم للإسلام والواجبات الإسلامية.

وقد أشرت في بعض المحاضرات السابقة حول الحسين: أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على قضية الحسين وألفتوا إليها الأنظار في مختلف المناسبات، لأنّهم أرادوا لها أن تكون قضية مركزية في أوساط أتباع أهل البيت، ليؤشّروا بها إلى طريقهم ومنهجهم، لأنّ قول وعمل آخرهم هو قول وعمل أوّلهم وهكذا العكس، فهم من نور واحد وعلى هدى رسول الله وهم عدل القرآن والثقل الآخر الذي لا يفترق عنه.

فهم يؤكّدون دائماً على أهداف الحسين وأسباب نهضته والمظلومية التي تعرّض لها هو وأهل بيته، وعلى إدانة الحكم الأُموي في نهجه وأهدافه وغاياته وأساليبه، وعلى ضرورة الأخذ بثأره لأنّه ثأر الله تعالى، وأنّ أحد الأهداف الرئيسية لظهور مهدي أهل البيت الحجة بن الحسن عليه السلام هو الأخذ بهذا الثأر وتحقيق العدل الإلهي.

ويؤكّد ذلك، بقاء هذه القضية (حيّة) في تاريخ أتباع أهل البيت إلى يومنا هذا، الأمر الذي يعني أنّه أُريد لهذه القضية أن تبقى مشعلاً للهداية ومناراً للتأسّي والاقتداء. وبالتالي فلابد لنا أن نفهم التفسير الصحيح لها ونتعرّف عليه، حتى يمكن أن تحقّق من خلال ذلك أهداف الحسين وغاياته.

ونحن عندما نقول بأنّنا نرفض التفسير الغيبي لقضية الحسين، لا نريد من ذلك ـ كما قد يتوهم بعض الأشخاص ـ أنّ قضية الحسين ليست مورداً للعناية الإلهية.

بل أنّ قضية الحسين (اطروحة إلهية)، أي أنّها موضوعة من قبل الله

سبحانه وتعالى، ومصممة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونفذها إمام من الأئمة المعصومين الذين لا يعرفون إلّا حكم الله، والله سبحانه وتعالى في علمه الذي يحيط بكل الأشياء عندما وضع هذه الاطروحة للأُمة الخاتمة ونفّذها هذا الإمام العظيم، أراد من ذلك خير الناس وخير البشرية، وأراد من المؤمنين والناس جميعاً الاقتداء بها، كما هو الحال والشأن في القرآن الكريم.

أليس القرآن الكريم كتاب الله ووحي من الله واطروحة غيبية إلهية؟! ولكن لا يراد لهذا الوحي أن يكون معلّقاً بين الأرض والسماء يمجّده الناس ويقدّسونه فحسب، بل أُريد لهذا الوحي الإلهي أن يكون هادياً للبشرية، تسير على تعاليمه وعلى منهجه، وكذلك الأمر بالنسبة لنهضة الإمام الحسين وقضيته، (فالحسين اطروحة إلهية).

وعندما نرفض التفسير الغيبي، لا نريد اقتطاعها عن كونها مجعولة من قبل الله سبحانه وتعالى ومصمّمة من قبل الله سبحانه وتعالى، بل هي مجعولة ومصمّمة من قبل الله تعالى، ولكن لمن؟ لا للحسين فحسب، بل هي مصمّمة للبشرية جمعاء، ونفذها الإمام الحسين عليه السلام فهي ليست حكماً غيبياً مختصاً بالحسين في الأداء والنتائج والآثار، بل يراد منها أن يقوم الحسين وأصحابه بها، وأن تسير البشرية على وفق هذه الأطروحة، وأن يقتدوا بالحسين ويسيروا على طريقه، فهي ليست مصمّمة لشخص الحسين ولعائلة الحسين ولأصحاب الحسين ولأهل بيته، وإنّما هي مصمّمة لكل البشرية، كما أنّ القرآن ليس مصمّماً لمحمد صلى الله عليه وآله، الحسين أيضاً قرآن ناطق، هذا الإنسان أيضاً يمثّل هذا الطريق طريق الإسلام، طريق القرآن.

فما هو التفسير الحقيقي لحركة الحسين عليه السلام.

وقد فهم التفسير الرسالي المسلمون بوجدانهم في الأدوار والعصور

المختلفة، وتأثروا وتفاعلوا معه. ولكن بعضهم فهمه بشكل تفصيلي، وبعضهم الآخر فهمه بشكل إجمالي، وهنا لا أريد أن أدّعي وأقول أنّ هذا الفهم جديد، بل أن عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من المسلمين فهموا ذلك، لكنّ بعضهم فهمه فهماً وجدانياً، أي تفاعل ضميره ووجدانه مع هذه القضية وسار على هديها، ولو لم يعرف بالضبط الأهداف الخاصة التي كانت وراء حركة الحسين ووراء نهضته.



ثورة الحسين هزة ضمير وحياة رسالة

أهداف الثورة الحسينية

التفسير الخامس لثورة الحسين أنّها كانت من أجل تثبيت الموقف الشرعي والحكم الإسلامي تجاه ظاهرة الطغيان اليزيدي، والحكم الكسروي الجديد الذي كان يجسّده هذا الحاكم المستهتر بالقيم والشعائر الإسلامية، هذا من ناحية.

ومن ناحية أُخرى المحافظة على وجود الرسالة الإسلامية واستمرارها من خلال تثبيت هذا الموقف وما يمكن أن يحدث عنه من تفاعلات في الأُمة.

ومن ناحية ثالثة إيقاظ ضمير الأُمة وهزّ مشاعرها وأحاسيسها وتحريك وجدانها، من أجل العمل على مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة في حياتها.

فالدوافع الحقيقية لثورة الإمام الحسين كانت ترتبط بهدف له أبعاد ثلاثة: بُعد يرتبط بفهم الرسالة الإسلامية، وذلك بتوضيح الموقف الشرعي تجاه الظاهرة الجديدة الخطيرة، وبُعد آخر يرتبط بحركة رسالة الإسلام المستقبلية، وبُعد ثالث يرتبط بحركة الأُمّة الفعلية وأوضاعها السياسية والاجتماعية والنفسية.

لقد استهدف الحسين عليه السلام في مجمل حركته هذه الأبعاد والأهداف الثلاثة المترابطة بينها، وقد تمكن سلام الله عليه بهذه التضحية الكبيرة، وبهذا البذل والعطاء الذي قدّمه للإسلام، وبهذا التخطيط الرائع والتصميم المحكم والقوي من تحقيق هذه الأهداف العظيمة.

وبهذا التفسير لحركة الحسين وثورته يمكن أن نحتفظ بكرامة الحسين وعظمته، فإنّ هذا الإنسان قدّم هذا القدر الكبير من البذل والعطاء قد تمكن من تحقيق أهدافه من وراء هذا البذل والعطاء، أي لم يكن هذا البذل والعطاء بلا هدف، بل أنّ هذا البذل والعطاء قد حقّق الهدف أيضاً، وكانت هذه الثورة ناجحة ومنتصرة، بل هي فتح إلهي كما عبّر عنها الحسين حينما قال: «**ومن تخلّف عنّا لم يبلغ الفتح**»[1]، ومن هنا نجد الحسين على بصيرة من أمره.

ويؤكّد هذه الحقيقة انّنا عندما ندرس ثورة الحسين وتفاصيل حركته ومواقفه، نلاحظ أنّ الحسين كان على درجة عالية من العزم والتصميم والإصرار العظيم، على تنفيذ هذه المهمة، ممّا يدلّل على أنّ الهدف الذي أراد تحقيقه من وراء هذه المهمة هدف عظيم وواضح، وفي نفس الوقت لديه ثقة عالية بتحقيق هذا الهدف.

الحسين الضمير الحي للأمّة

لقد كان الحسين عليه السلام يمثّل الضمير الحي للأُمّة الإسلامية والعقل الواعي والمدرك للأخطار التي تتهدّدها وطبيعة المشاكل والظروف التي تحيط بها، وكان يدرك ان في مقدمة هذه الأخطار خطر موت الضمير والوجدان لديها، والذي يتحوّل بعد ذلك عادة من خلال الاستمرار والقبول بالأمر الواقع إلى نسيانها لدورها وفقدانها لخصوصيتها وتشويه الحقيقة والواقع والتحوّل عن الصراط المستقيم إلى الانحراف والطغيان.

ومن أجل أن تتّضح الصورة بشكل أفضل، يحسن بنا أن نتناول هذه الأهداف بشيء من التوضيح.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٥٦.

الهدف الأول: تحويل الموقف النظري إلى موقف عملي

تثبيت الموقف الشرعي، فإنّ الحسينعليه السلام كان يدرك أنّ الناس يعرفون حقيقة يزيد وطغيانه واستهتاره (العلني) بالقيم والمثل والأحكام الإسلامية، فقد كان يلعب بالقردة والكلاب، ويشرب الخمر علناً، وكان فاجراً فاسقاً، وأنّه ليس أهلاً للخلافة، وأنّ معاوية فرض خلافته على المسلمين مع رفضهم واستنكارهم لها، هذه الحقيقة كان يعرفها الناس، ولكن هؤلاء الناس مع ذلك هم الذين قتلوا الحسين ووقفوا في الصف المعادي له، بل ظهروا وكأنّهم أعدى أعداء الحسين، لأنّ الشخص الذي يشهر السيف ويقتل شخصاً آخر يكون بذلك قد اتخذ أشد موقف عدائي تجاه ذلك الشخص، هؤلاء الناس الذين قتلوا الحسين كانوا يعرفون الحسين أيضاً، ويعلمون أنه على حق وأنّه ابن بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأحق من يزيد بالخلافة، وأنّه إذا جاء للحكم أقام العدل والقسط بين الناس وحقّق لهم العزّة والكرامة.

بل أنّ الكثير من هؤلاء الناس كانوا قد حرّضوا الحسين على الثورة، وكتبوا له بذلك وتحرّكوا في سبيل تحقيق هذا الهدف.

كل هذه الحقائق كانت موجودة وقائمة وكان يعرفها الناس ويدركونها والإمام الحسينعليه السلام أشار إلى ذلك في بعض خطبه وكلامه، وعندما قال في خطبته في أصحاب الحر بن يزيد الرياحي:

«أيها الناس إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا

قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ألا وإن هؤلاء قد لزموا الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق ممن غيّر.

وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلّموني ولا تخذلوني. فإن أتممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم. فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم فيّ أُسوة. وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمريِ ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور مَن اغتر بكم. فحظكم اخطأتم ونصيبكم ضيعتم. ﴿مَن نكث فإنّما ينكث على نفسه﴾[1] وسيغني الله عنكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

ولكن هذه الحقائق كانت معروفة للناس في عقولهم وأذهانهم، أما الموقف العملي تجاه هذه الظاهرة وهذه الحقائق فلم يكن معروفاً، لقد كان الناس في حيرة من أمرهم، ولا يعرفون ماذا يصنعون أمام هذه المأساة المروّعة في المجتمع الإسلامي، مأساة أن يأتي إنسان على دفّة الحكم الإسلامي ويدّعي (الخلافة لرسول الله) ويدّعي أنّه مسؤول عن (تطبيق أحكام الإسلام)، ثمّ يستهتر بهذه الأحكام بهذا الشكل العلني الفظيع!! هذه مأساة عظيمة واجهها المسلمون ولا يعرفون ماذا يصنعون! كانوا متحيّرين واقعاً في اتخاذ الموقف العملي، تتجاذبهم عوامل عديدة.

فهذا خائف على نفسه أو جماعته من النتائج.

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) الطبري: ج ٦ ص ٢٢٩، والكامل لابن الأثير: ج ٤ ص ٢١.

وذاك واقع تحت تأثير الشهوات والملذّات والإغراءات والأموال.

وأشخاص آخرون كانوا قد اعتادوا الظلم والذل والخضوع واستسلموا للأمر الواقع، كما حدث بالنسبة إلى بني إسرائيل في زمن فرعون.

والبعض الآخر قد تعرّض إلى عمليات التضليل وغسيل الدماغ، تحت شعار حرمة الخروج على السلطان مهما بغى وانحرف وتجبّر، لأنّ ذلك شق لعصا المسلمين وخروج على الجماعة[1].

وقسم آخر كان يترقب الأحداث ليستفيد منها وينتهز الفرصة المناسبة للوصول إلى الحكم والسلطة.

وهناك الكثير من أبناء الأُمة كان يدرك الحكم الشرعي، ولكن كان يعتقد ضرورة توفّر القدرة على الحركة، بحيث تنتهي إلى الإطاحة بالحكم وتغييره، وبدون ذلك تصبح الحركة ـ بنظرهم ـ بدون هدف، إلى غير ذلك من العوامل الأُخرى التي يطول ذكرها.

كل هذه العوامل كانت تُوجِد حالة من الانفصام والتمزق في موقف الأُمة العملي، فهي من ناحية تدرك حقيقة يزيد وحكمه وأنّه إنسان خارج عن حكم الله والإسلام، وأنّه ليس أهلاً للخلافة، ولكن من ناحية أُخرى لا تتردد في اتخاذ الموقف الّذي يجب أن تتخذه وتسير عليه في مواجهة هذه الظاهرة.

---

(١) فقد وضعت السلطة في عهد معاوية روايات على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعممتها من خلال أجهزتها الإعلامية والثقافية بين المسلمين، فتأثر بها بعض الناس العامة في ذلك العصر، ثم تبنت الحكومات بعد ذلك هذا الخط الثقافي السياسي رسمياً.

وقد أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يحوّل هذا الفهم النظري للموقف من حكم يزيد ـ والذي كان يدركه الناس في عقولهم وأذهانهم ـ إلى موقف عملي ووظيفة شرعية واضحة، يبرّر لهم التحرك والعمل ويفك الحصار عن إرادتهم، وينهي حالة التردد والحيرة في موقفهم.

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام الإنسان الأصلح للقيام بهذه المهمة، لما كان يتمتّع به من مواصفات فريدة في عقول المسلمين وتأريخهم ووجدانهم ومشاعرهم، وللوضوح في طبيعة انتساب موقفه إلى الشرع والإسلام، لأنّ الإمام الحسين هو من أهل بيت النبوة وأعلم أبناء هذا البيت وأقربهم لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه ابن بنت رسول الله، وأكثرهم حرصاً على الإسلام ومعرفة بأحكامه وإدراكاً لظروف الأُمّة وأوضاعها السياسية، وأوسعهم ارتباطاً في أوساطها.

وهذا الأمر يمكن أن نلمسه بشكل واضح في وصيته الفريدة لأخيه محمّد بن الحنفية عند خروجه من المدينة بعد رفضه لبيعة يزيد حيث جاء فيها: (... ان الحسين يشهد ان لا إله الا الله... إلى قوله هذه وصيتي اليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب))[1].

ومن الواضح أنّ تثبيت هذا الموقف الشرعي عملياً وواقعياً لا يكفي فيه اعلان الثورة أوبيان الحكم الشرعي ونشره بين الناس، بل كان يحتاج إلى موقف عملي يتّسم بالبذل والعطاء والتضحية والفداء، ليكون واضحاً بيّناً لا يمكن أن تستره الشبهات أوتشوّهه الشكوك والاحتمالات وقوياً لا تقف في وجهه الرغبات والشهوات ومحاولات التضليل.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٥٦.

الهدف الثاني: تحويل الادراك العقلي إلى ادراك وجداني

أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكتف بتثبيت الموقف الشرعي وتوضيحه عملياً من خلال موقفه الجهادي، بل اهتمّ بشكل خاص أنْ يحوّل الإدراك العقلي والتصديقي للأُمّة تجاه حكم يزيد وطغيانه إلى موقف وجداني يتسم بالشعور بالمسؤولية، وذلك من خلال نقل الصورة من العقل والذهن إلى القلب والوجدان.

ولا يتم ذلك إلّا من خلال إيقاظ ضمائر الناس وهزّ وجدانهم وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم.

فإنّ ضمائر هؤلاء الناس كانت مخدرّة أوتكاد أن تموت تدريجياً، والإنسان قد يدرك أشياء كثيرة وصحيحة بعقله، ولكن موقفه ووجدانه وحركته قد تختلف عن ذلك الإدراك الصحيح، وكل إنسان في حياته العملية يتمكن أن يدرك هذا الواقع وهذا الانفصال، وهو أنّه يمكن أن يعرف الكثير من الحقائق، مثلاً يدرك أنّ شرب الخمر غير صحيح ومضر بعقله وصحته، أوأنّ الظلم قبيح، أوالذل والاستسلام يؤدي إلى الفساد في الأرض، ومع ذلك تجده أحياناً يرتكب هذه الأعمال، لأنّ هناك ميول وشهوات، وهناك إرادة مفقودة، أوأسباباً أُخرى مشابهة ـ كالخوف ـ تضغط عليه وتمنعه من الحركة.

لقدكان الناس في زمن الإمام الحسين عليه السلام يعيشون هذه الحالة، فأراد الإمام الحسين عليه السلام من خلال هذه الحركة أن يقول للناس إنّ الموقف العملي تجاه الظاهرة اليزيدية هو أن نموت، هو أن نستشهد، هو أن نبذل، هو أن نضحّي من أجل الخلاص، ثمّ أراد أيضاً بعد ذلك أن يحرّكهم لهذا البذل والعطاء والتضحية، والبذل والعطاء مرتبط بالمشاعر والوجدان.

وليس هذا الواجب ـ واجب التضحية والفداء لإيقاظ ضمير الأُمّة ـ مختص بالإنسان الكبير، بل يشمل الصغير أيضاً، كما أنّه ليس مختصاً بالرجال، بل يشمل النساء أيضاً، ولا يختص هذا الواجب بالإنسان الذي يكون له أصحاب وأنصار كثيرون بل يجب حتى مع القلّة من الأصحاب، والإنسان يجب أن يقاتل وأن يموت من أجل هذه القضية حتى يُحيي الحكم الإسلامي، وحتى يحقّق العدل الإلهي، وحينما يأتي على دفّة الحكم إنسان مثل يزيد ويستهتر بالإسلام والمسلمين فهذا شيء مرفوض مطلقاً، ويجب على الإنسان أن يتحرّك من أجل هذا الرفض، من أجل أن يحطّم هذا الطاغوت، هذا الشيء هو الذي أراده الحسين عليه السلام واستهدفه.

لم يكن يستهدف أن يصل إلى الحكم، كان يعرف أنّه لا يصل إلى الحكم، إلا أنّه كان يريد أن يحرّك الناس ويهزّ ضمائرهم ويوقظ وجدانهم فيتحرّكوا.

ولكن يهزّهم بأي شيء؟ لا يهتزّ الوجدان بالمنطق والبرهان وحده، بل كان على الحسين أن يقدّم دمه الغالي رخيصاً في سبيل هذا الهدف، وكان عليه أن يُقتل ويُذبح عطشاناً وبهذه الطريقة المأساوية التي شملت الشيوخ والغلمان والنساء والأطفال، حتى تتحرّك هذه الضمائر والقلوب والمشاعر والعواطف.

أمّا لو بقي الحسين على مقامه الاجتماعي محترماً ومكرّماً أو بعيداً عن الناس، فإنّ الناس لا يتحرّكون بمجرّد الكلام والنداء والبلاغ، بعد أن تخدّرت ضمائرهم وفقدوا إرادتهم.

لقد وجد الحسين عليه السلام أنّ طريق تحريك هؤلاء الناس هو أن يضع أمامهم هذه الملحمة التأريخية وهذه المأساة الإنسانية، فلابدّ له أن يكشف لهم

الحقيقة كشفاً وجدانياً من خلال السلوك، ويبذل نفسه وأبناءه وعياله وأطفاله وأصحابه وكل ما لديه من أجل هذا الهدف.

ولكن الحسين عليه السلام لم يبذل كل ذلك بشكل عشوائي وانتحاري، لأن ذلك لا يؤتي الثمار ولا يحقق النتائج، بل خطّط ومهّد لهذا البذل تخطيطاً عظيماً ورائعاً يصب في هذا الهدف الكبير، ونرى معالم ذلك في كل خطواته وحتى النفس الأخير لحياته.

بل وحتى بعد مقتله من خلال الدور الزينبي الذي قامت به أُخته العقيلة الكبرى زينب عليها السلام والأُسرة العلوية الهاشمية من النساء والأطفال، وعلى رأسهم بقية السيف والسلف الرجل الوحيد المريض العبد الصالح الإمام زين العابدين عليه السلام.

وكان هذا التخطيط ضرورياً أيضاً لهذا البذل، إذ مجرّد أن ينتحر الإنسان وجميع أهل بيته لا يكفي لتحقيق هذه الهزّة، بل لابد لها من تغطية سياسية وتغطية إعلامية وتخطيط دقيق ومحكم. وهذا ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام حيث خطّط من خلال المواقف والنشاطات والأحاديث من أجل تحقيق هذه الهزّة، والحديث عن ذلك له مجال آخر(١)، وهنا نريد أن نؤكّد أنّ الهدف هو إحداث هذه الهزّة في نفوس الناس، وقد تحقّق هذا الهدف.

ففي السنة الثانية لملحمة عاشوراء تثور المدينة المنورة على يزيد، فتكون واقعة الحرة التي استباح فيها يزيد المدينة وقتل خيرة أبناء الأنصار، ثم تثور مكة بعد ذلك على يزيد، ويتعرض فيها يزيد للكعبة المشرفة بعد حصارها.

---

(١) سوف نتناول هذا الموضوع في بحث مستقل.

وبعد ذلك يموت يزيد وتتفاعل هذه الهزّة مع ضمير الأُمّة فيثور الثائرون على بني أُميّة، وهكذا توالت حركة الناس ضد هذا النظام تدعو للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله حتى أطيح به في النهاية، وحتى أُسقِط هذا النظام، وبقي هذا التحرك، وبقي تحرّك الحسين وهزّة الضمير الحسينية، بقيت متواصلة إلى يومنا هذا، تذكّر كل الناس بقضية الحسين وبثورته وبهدفه، إذن الحسين عليه السلام حقّق غرضه وحقّق هدفه من وراء هذه الثورة.

الحسين والنهضة الإسلامية المعاصرة

وفي عصرنا الحاضر ـ كما هي الحال في كل العصور السابقة ـ ترون أثر هذه الهزّة الضميرية في الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام الخميني قدس سره، حيث كان لقضية الحسين ولشعائره دور عظيم في تحقيق الانتصار لهذه الثورة «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء».

بل كان للنهضة الحسينية بصماتها في مجمل النهوض الإسلامي الذي يشهده عالمنا اليوم، بل يمكن أن نعتبر الثورة الإسلامية في إيران والنهوض الإسلامي نتيجة من نتائج تلك الهزّة، فإنّ هذا البذل والعطاء الذي يقدّمه الشعب الإيراني المسلم والشعب العراقي والشعب الفلسطيني وشعوب شمال أفريقيا والشعب الأفغاني وبقية شعوب آسيا الوسطى، للخلاص من الكفر والطغيان والاستعباد، يجسّد معالم وآثار هذه النهضة الحسينية التي بقيت تتفاعل مع أحداث التأريخ الإسلامي، والإنساني ومع ضمير الإنسان حتى يومنا الحاضر.

والهدف الثالث: الإسلام باق بالتضحيات الحسينية

المحافظة على الإسلام وهو هدف عظيم أيضاً، بل هو الهدف الأسمى والأقصى، وهو الهدف الذي جاء من أجله الأنبياء والمرسلون وعمل من أجله الأئمة الأطهار عليهم السلام وشاركوا الحسين في تحقيقه، وهو المحافظة على الوجود الإسلامي: (عقيدة) و(كياناً) و(أُمة إسلامية)، وخصوصاً الخط الأصيل للإسلام.

لقد كان الإسلام في ذلك العصر مهدداً في أن يتعرّض إلى التحريف والتغيير كما حرفت وشوّهت ديانات سماوية أُخرى.

ولا يمكن القول: إنّ الإسلام لما كان دين الحقّ، دين منزّل من قبل الله سبحانه وتعالى، فلابد أن يبقى. وقد وعد الله سبحانه وتعالى ببقائه في قوله تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾[1]، فإنّ ذلك وإن كان حقاً إلّا أنّ هذا الوعد الإلهي إنّما يتحقّق من خلال السنن والنظام الذي يحكم حركة التأريخ، ومن خلال الأسباب والوسائل التي تؤثر في حركة الجماعة الإنسانية، وقد كان لهذا الدم الشريف الطاهر الأثر الكبير في تحقيق هذا الوعد والمحافظة على الإسلام والخط الأصيل له بشكل خاص.

فإنّ الديانة اليهودية ديانة سماوية أيضاً وجاء بها رسول مبعوث من قبل الله سبحانه وتعالى، وجاهد هذا الرسول من أجل الحقّ والتوحيد وإقامة المجتمع الإنساني الصالح، ووصلت هذه الديانة إلى الحكم أيضاً، ولكن بعد ذلك نتيجةً لتغيّر الظروف ومجيء الطغاة والمحرّفين انحرفت هذه الديانة،

---

(١) الحجر: ٩.

بحيث إنّ الإنسان لو أراد ـ الآن ـ أن يبحث عن الدين والشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام لا يمكنه أن يتعرّف على هذه الحقيقة، لأنّ معالم الديانة ضاعت بسبب التحريف والطغاة ووعاظ السلاطين، بحيث إنّ الإنسان الصادق مع ربّه، الصادق مع نفسه، حتى البحّاثة المحقّق لو أراد أن يبحث عن هذه الحقيقة، لا يمكن أن يصل إليها، لأنّها ضاعت في مجاهل التأريخ.

وكذلك الديانة النصرانية مرّت بمثل هذه التجربة أيضاً، فعيسى عليه السلام رسول من قبل الله ومن أُولي العزم، وجاهد جهاداً عظيماً. وكان معه أصحابه الحواريون الذين تحمّلوا المسؤولية من بعده، إلّا أنّها تعرّضت فيما بعد إلى التحريف نيتجة لحكم الطغاة والمحرّفين، بحيث أصبحت هذه الديانة لا يمكن لأيّ إنسان على وجه الأرض مهما كان باحثاً، عالماً، صادقاً، أن يصل إلى حقيقة الديانة النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام إلّا عن طريق ما أشار إليه القرآن الكريم منها.

ولكن الديانة الإسلامية تتميّز عن هاتين الديانتين بأنّ الحقيقة فيها والذكر الإلهي بقي محفوظاً على مر العصور والأزمان. صحيح أنّه توجد بين المسلمين جماعات منحرفة عن الإسلام وتعتقد باعتقادات تظنّ أنّها هي الإسلام، ولكنّها بعيدة عن الإسلام أوفيها تغيير لبعض معالم الإسلام، إلّا أنّ الإنسان لو كان صادقاً مع نفسه وأراد أن يدرك الحقيقة ويتعرف على حقيقة الإسلام ويكون صادقاً بينه وبين ربّه في البحث، فإنّه يتمكن أن يصل إلى الإسلام الحقيقي، الإسلام الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله.

كيف حصل هذا الشيء؟ وما هو الشيء الذي أوصل لنا الإسلام مع هذا الفاصل الزمني الكبير بيننا وبين مصدر الإسلام، مع أن الإسلام تعرّض أيضاً الى المحاولات الكثيرة لتحريفه والاعتداء عليه؟ ويمكن أن نشاهد هذه

المحاولات في مراجعتنا للتاريخ الإسلامي سواء في العصر الأوّل، الذي حاول فيه المنافقون القيام بهذا الدور، أو في عصر الأمويين والعباسيين والحركات الأُخرى المضادة.

إنّ الشيء الذي كان له الأثر الكبير في المحافظة على الإسلام النقي هو دور أهل البيت عليهم السلام الى جانب القرآن الكريم، وخصوصاً هذا الدم الشريف الذي بذله الحسين عليه السلام في سبيل المحافظة على الإسلام وبقي نوراً هادياً للمسلمين ومؤشراً على الانحرافات والموقف العملي منها ومثيراً للأحاسيس والمشاعر ضدها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**» بل أن المحافظة على فهم القرآن فهماً صحيحاً كان بسبب هذا الدور العظيم لأئمة أهل البيت ولدم الحسين عليه السلام .

وقد أكّد أئمة أهل البيت عليهم السلام على قضية الحسين عليه السلام، لأنهم كانوا يدركون هذا الدور العظيم لهذه القضية.

وهناك أدلة قاطعة تؤكد وجود هذه الحقيقة، حتى في أوساط جماعات المسلمين الذين لا يلتزمون بإمامة الحسين والأئمة من أهل البيت، بل يرون في الحسين أنه من رجال الإسلام العظام. فإنّ الحقيقة عندما تتكشف للناس فإنّها لا تختص بمذهب دون آخر، خصوصاً إذا كان عنوانها وشعارها شمولياً، والهزّة الوجدانية تتفاعل مع الفطرة والأحاسيس الإنسانية إذا كانت منطلقة من الحاجات الإنسانية والوجدان الحي والفطرة النقية، مع قطع النظر عن متبنياتها المذهبية.

وصرخة الحقّ مدوية وقويّة تصل الى أعماق النفس البشرية والعقول المدركة والأسماع الواعية، ولا يمكن أن تحدّها الأغلال والقيود المصطنعة.

فكيف إذا كانت هذه الحقيقة والهزّة والصرخة مرتبطة بالنبي

وعلي والزهراء عليهم السلام .

إنّ الحديث عن ذلك يحتاج الى بحث تاريخي وتحليلي ومتابعة ميدانية لا تسعها هذه المحاضرة. ولكن يمكن أن نشير الى بعض الظواهر البارزة المؤشرة:

مثل ظاهرة اتفاق جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم بأنّ الموقف الحسيني كان يمثل موقفاً إسلامياً شرعياً، وان يزيد كان مرتداً ومتمرّداً على الإسلام والشرع والموازين الدينية.

وهذه الظاهرة ثابتة في التاريخ الإسلامي من خلال الاحترام والتقديس لهذا الموقف والدم الطاهر، بالرغم من استمرار الحكم الأُموي بعد يزيد لعشرات السنين وبشكل قوي وفعّال، وبالرغم من وجود بعض الروايات الموضوعة على لسان النبي صلى الله عليه وآله، أو المتبنيات الفقهية لبعض الأدعياء.

والظاهرة الأُخرى هو تحرّك وصعود شعار «الرضا من آل محمّد» في المجتمع الإسلامي بعد نهضة الحسين بقوة لم تتمكن من السيطرة عليها أومواجهتها جميع محاولات القمع الأموي حتى انتهى الأمر بالمسلمين أن يتمكنوا من إسقاط الحكم الأُموي الى الأبد.

والظاهرة الثالثة هو بقاء الرأي الفقهي الذي يربط أصل مشروعية الحكم الإسلامي بالعلم والاجتهاد وانتخاب الأُمّة أوالنص من المعصومين، بالرغم من أنّ الحكم الإسلامي من الناحية الواقعية في القرون المتوالية له كان يتم بطريقة أُخرى. وعلى أساس الوراثة تقريباً، الأمر الذي يعني أن هناك عاملاً مهماً ومؤثراً في المجتمع الإسلامي كان قادراً على أن يحفظ هذه الرؤية الصحيحة للحكم الإسلامي، وهذا العامل لا يمكن أن يكون مجرد الفتاوى التي كان يصدرها الفقهاء، لأنّهم تعرّضوا للتحريف أيضاً. وكانوا يخضعون

في كثير من مواقفهم الى الضغوط أو الاغراءات.

صحيح أنّ بعض الآراء الفقهية تقبل نظرية التسليم والطاعة للحكم الجائز والمنحرف، إلّا أن هذه الآراء أيضاً ـ فضلاً عن غيرها ـ بقيت تؤكد على أنّ هذه الحالة استثنائية لمعالجة الموقف الشاذ.

والظاهرة الرابعة التي أشرنا إليها سابقاً هي أن جميع العصور الإسلامية لم تخل من المحاولات البطولية التي كان يقوم بها الثوّار والمصلحون لمواجهة الظلم والانحراف الذي يصدر من بعض الحكّام المسلمين، فإن هذه العمليات وإن كانت تستمد حيوتها وتستقي دماءها من الفطرة الإنسانية، إلّا أن الغطاء الشرعي والوقود الإنساني لها كان يتمثّل بالثورة الحسينية.

وكانت هذه المحاولات ـ بالرغم من عمليات القمع ـ تسجيل انتصارات كبيرة على المستوى السياسي أحياناً، ولكن انتصارها الأكبر إنّما هو في الواقع الفكري والوجداني والثقافي والأخلاقي للأُمّة وفي استمرارها الواعي والمدرك للحقائق الإلهية.

لقد كان من الممكن أن تتغير كل معالم الإسلام بسبب الظروف القاسية التي تعرّض لها المجتمع الإسلامي، ويصلنا شيء آخر بعيد عن الإسلام تمام البعد، ويتحول الى صيغة مشوهة، كما نرى ذلك في بعض المذاهب الشاذة في الفقه الإسلامي، كان من الممكن أن يحصل هذا الشيء.

ولكن ببركة دم الحسين عليه السلام وببركة هذا الدفعة التي كان لها تأثير على كل الساحة الإسلامية والتأريخ الإسلامي، بقي الإسلام محفوظاً من هذا الخطر العظيم، وكان محور هذه الحركة هو هذا الخط الأصيل للإسلام، خط أهل البيت عليهم السلام الذي وصلنا ببركة هذا الدم الشريف.

إذن كان لدم الحسين عليه السلام هذا الأثر العظيم في حفظ الإسلام، وهذا هدف آخر تحقّق للحسين عليه السلام .

الحسين وأتباعه

لقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى لنا ونعمه علينا، أن جعلنا من الموالين للحسين والمحبّين له، ونرفع شعار المتابعة والمشايعة له، نرجو بذلك ثواب الله تعالى وشفاعة الحسين وجدّه وأهل بيته عليهم السلام في يوم القيامة، ولكن السؤال هو هل نحن حقاً ورثة الحسين عليه السلام ؟

أنا لا أُريد أن أطيل الحديث هذه الليلة أكثر من هذا، لأن هذه الليلة (العاشر من محرّم الحرام) هي ليلة المأساة، فهي ليلة ندب وبكاء، وليلة صرخة وأسنّة، وليلة استغاثة ومواساة للحسين وأهل بيته.

ولكن إذا كنّا من أتباع الحسين وشيعته فلابد لنا أن نكون ورثة الحسين، لأنّ الأنبياء والأوصياء والأئمة لم يورّثوا ذهباً ولا فضة، ولا درهماً ولا ديناراً، وإنّما ورّثوا العلم والحكمة.

ثم إنّ الحسين هو وارث الأنبياء والمرسلين، ونقرأ في زيارته:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبيّ الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمّد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أميرالمؤمنين علي وليّ الله».

فإذا كنّا حقاً ورثة الحسين فلابدّ أن نتحمّل المسؤولية التي تحمّلها

الحسين وورثها عن الأنبياء والمرسلين.

وأنتم أيها الإخوة تعرفون قبل غيركم ماذا يعاني منه أبناء شعبنا في العراق؟ إنّ شعبنا يعاني من ظاهرة يزيد (مرة أُخرى)، حيث يعمل النظام المجرم على فتنة الشعب ليل نهار، إنّه يحاول إخراج الناس من الإسلام بالقهر والبطش، يريد أن يحوّل المسلمين الى كفرة ملحدين يحاربون الإسلام ويقاتلون بعضهم البعض الآخر.

إنّه يُفسد الأخلاق والعباد والبلاد، فيجبر الابن على أن يعادي أباه، وكذلك الأب أن يعادي ابنه فيتجسّس عليه، إنّه يستعبد الناس ويتعامل معهم من موقع السيادة المطلقة، وكأنّ العباد والبلاد ملك طلق له يتصرّف بهم كيف يشاء، إنّه يقتل العلماء والصالحين، ويشرّد الفقراء والمساكين، وينشر الفساد والرذيلة في كل مكان، وينتهك الحرمات والمقدسات، ويمنع الناس من الصلاة وذكر الله تعالى، ويهدّم المساجد والحسينيات والمدارس والمكتبات، ويغلق المؤسسات الدينية والإسلامية والخيرية. إنّ النظام يتجاهر بالفسق والفجور ويفتخر بذلك، ويصرف الأموال الطائلة على مجالس الرقص والفساد والرذيلة، ويفسد الذمم والضمائر بالأموال العامة.

لقد تحمل الإمام الحكيم(قده) المرجع العام للمسلمين في العراق والعالم الإسلامي، هذه المسؤولية حين رفع راية الرفض والمقاومة، حتى ذهب الى ربه في موتة تشبه الشهادة، وتحمّل من بعده الإمام الشهيد الصدر هذه المسؤولية، والذي أدرك هذه الحقيقة وقال: بأنّ العراق يحتاج الى دم الحسين، وبذل نفسه في هذا الطريق، وسارت فيه أُخته العلوية الفاضلة بنت

الهدى، ومواكب الشهداء من آل الحكيم وآل المبرقع وآل شُبّر وآل الحلو، وغيرهم من خيرة أبناء العراق الطيّبين والعلماء الصالحين.

لقد كان الشهيد الصدر يعرف بأنّه لا يصل الى الحكم حينما صرخ بهذا النداء، وكان يقول: «أنا أنتظر الشهادة»، ولكنّه كان يريد أن يحرّك ضمائرنا لقضية نعيشها كما عاشها الحسين عليه السلام، كان يريد منّا أن نواصل طريق الحسين، فهو ابن الحسين وتلميذ مدرسة الحسين عليه السلام وصرخته هي صدىً لصرخة الحسين في هذا العصر.

أيها الإخوة:

أنا أدعوكم أن تكونوا الى جانب الحقّ، ليس في عقولكم فقط، فكلّكم تعرفون الحقّ، تعرفون أن يزيد العصر (صدام) إنسان منحرف، ترفضونه وترفضون نظامه الكافر، تعرفون هذه الحقيقة، ولكنني أدعوكم أيها الإخوة أن تكونوا بقلوبكم مع هذه الحقيقة، بوجدانكم وضمائركم، بمواقفكم وأعمالكم ونشاطاتكم. كما أن لكم إخوة في العراق يعيشون هذه الحالة، وكما أنّ لكم إخوة في جبهات القتال يعيشون هذه الحالة ويكافحون من أجل هذه القضية. أدعوكم الى أن تكونوا الى جنب هؤلاء بأموالكم، بأنفسكم، بأبنائكم، بإخوتكم، وكلٌّ من موقعه. فالحسين يدعوكم، والإمام الحكيم يدعوكم، والسيد الشهيد الصدر رحمه الله ابن الحسين وحسين هذا العصر في العراق يدعوكم. فالله الله في دينكم، الله الله في أبنائكم وأخواتكم وإخوتكم في العراق، الله الله في أنفسكم، والله سبحانه وتعالى يكون معكم.

﴿ يا أيها الّذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم ﴾ .

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يهدي قلوبنا لذلك، كما هدى عقولنا لذلك.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يثبّت أقدامنا جميعاً، نسأل الله سبحانه و تعالى أن يوحّد كلمتنا وأن يرصّ صفوفنا، نسأل الله سبحانه و تعالى أن يجمع أمـرنا وأن تكون قلوبنا قلباً واحداً ذا إحساس واحد.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا النصر القريب، وأن يجمعنا معكم فـي ظلّ هذه الشعائر عند أميرالمؤمنين والحسين والكاظميين والعسكريين.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يوفقنا لمراضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الفصل الثاني

ثورة الحسين عليه السلام

المسؤولية وشروط تحقيق الهدف


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين أبي القاسم محمّد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار،ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتكم.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين».

نحن أيها الإخوة تحدثنا في العام الماضي عن ثورة الحسين عليه السلام وتفسيرها، وذكرت عدداً من التفاسير وانتهيت الى أن تصوّري في تفسير ثورة الحسين عليه السلام هو أنّها كانت من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف، في مقدمتها إحداث هزّة في ضمير الأُمة وتحرير إرادتها من قيود الأسر التي تعاني منه.

وقد عرفنا بأنّ تفسير نهضة الحسين، بمحاولة الوصول الى السلطة تفسير (غير واقعي)، بالرغم من أنّ السعي الى اقامة الحكم الاسلامي واجب وحق طبيعي للحسين عليه السلام.

وهنا يأتي هذا السوال الذي أحاول أن أطرحه في هذه الليلة، وهو سؤال لا زال موجوداً في كثير من أذهان الدارسين والباحثين عن ثورة الحسين عليه السلام، هذا السؤال هو: لماذا لم يكن هدف الحسين عليه السلام هو الوصول الى السلطة؟

ثمّ الأهم من ذلك، لماذا لم يتحقق للحسين عليه السلام أن يصل الى تغيير الحكم والاطاحة بنظام يزيد بن معاوية؟ هذا النظام الذي كان يمثّل نموذجاً من الأنظمة الطاغوتية الفريدة في تاريخ الإنسان، ومع أنّ الحسين عليه السلام كان قد أعلن عن سعيه لذلك، وأنه يريد اقامة حكم الله سبحانه وتعالى، واستجاب لدعوة أهل الكوفة وبذل جهوداً كبيرة في هذا السبيل.

طبعاً نحن كمسلمين مؤمنين بإمامة الحسين عليه السلام وبعصمة الحسين عليه السلام وببعده عن كل خطأ واشتباه وتقصير، نعتقد بشكل مسبق أنّ الحسين عليه السلام لا يتحمل أي مسؤولية في عدم تحقق هذا الهدف الكبير خارجاً، الذي هو الاطاحة بنظام يزيد وإقامة حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض، وانما تقع المسؤولية على الأمة نفسها كما أشرنا سابقاً.

وكان هذا الأمر ممّا أدركه الحسين عليه السلام وادركه العارفون من رجالات الإسلام في ذلك العصر.

ولكن باعتبار أن ثورة الحسين عليه السلام ليست مجرّد حادثة تاريخية وقعت في تاريخ المسلمين ثم انتهت، وحينئذ فلا نحتاج إلّا أن نقيّم الحسين عليه السلام من ناحية مسؤوليته ونقف عند ذلك، وانّما نعتقد أنّ ثورة الحسين عليه السلام وحركته قضية تتجدد على مرّ العصور والأيام، ولا زالت هذه القضية - الى يومنا هذا - تمدّنا بالعطاء والقوة والعزيمة والقدرة.

وشأن الحسين وقضية الحسين ﷺ شأن القرآن الكريم الذي لا يختص مضمونه بعصر نزوله، وانما يتجدّد في كل عصر ويعالج قضايا كل عصر، فهو حي متجدد كالشمس والقمر، كما ورد في روايات أهل البيت ﷺ.

الحسين ﷺ أيضاً هو قرآن ناطق وقضيته وحركته لابد من أن نفهمها في كل عصر، من أجل أن نستوحيها ونستلهمها في كل عصر.

ولذا فنحن بحاجة الى أن نجيب على هذا التساؤل، بشكل نطرح فيه هذا التساؤل على أساس أنّ الحسين ﷺ هل يتحمل بنفسه مسؤولية عدم الوصول الى السلطة، لأنّه لم يكن يريد تحقيق هذا الهدف منذ البداية، أو لا؟

وإذا عرفنا أنّ الحسين ﷺ لا يتحمّل المسؤولية في هذا المجال، فنتساءل حينئذٍ عن عوامل الضعف في الأُمة التي أدّت الى هذه النهاية المأساوية، والتي أدت الى عدم تحقّق هذا الهدف على يد الحسين ﷺ، بل تأخر تحقق هذا الهدف الى زماننا هذا، حيث تحقّق على يد إمام الأُمة السيد الخميني[1].

وسوف يتحقق هذا الهدف طبعاً بشكل كامل في المستقبل - هدف اقامة حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض والاطاحة بكل الطواغيت بشكل كامل - على يد ابن الحيسن ﷺ حجّة آل محمّد عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وبصدد الجواب على هذا السؤال، لابدّ لنا:

أولاً: أن نتعرف على الشروط الأساسية العامة التي يجب أن تتوفّر في الثورة الناجحة.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة قبل وفاة الإمام الخميني وذلك في ليلة العاشر من محرم ١٤٠٣هـ.

وثانياً: الفحص عن وجود هذه الشروط الأساسية وتوفرها في ثورة الحسين أو عدم وجودها.

وثالثاً: اذا وجدناها متوفرة في ثورة الحسين عليه السلام ننتقل بعد ذلك الى المرحلة الثانية، وهي الحديث عن الأُمة وظروفها ودورها في ثورة الحسين عليه السلام.

فهناك ثلاثة أبعاد وفصول من الحديث.



أولاً: شروط الثورة الناجحة

يمكن أن نلخص الشروط الأساسية التي لابد من توفرها في كل ثورة حقيقية وناجحة من منظور اسلامي بخمسة شروط:

١- الشرط الإلهي للثورة

الشرط الأول: هو البعد الالهي، أي أن تكون الثورة والحركة التغييرية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى.

وقضية الارتباط بالله سبحانه وتعالى قضية ذات أهمية بالغة في المنظور الاسلامي في كل ثورة ناجحة، لأنّ مسألة الارتباط بالله سبحانه وتعالى تمثل الهدف الأساس لكل عمل تغييري في المنظور الاسلامي، وهو طريق التكامل الانساني في الحياة الدنيا والآخرة، لأن التغيير فيها يكون على اساس موازين الحقّ والعدل والمصالح الإنسانية الواقعية، وتجنب المفاسد والأضرار التي يمكن أن تلحق الإنسان في سيرته الفردية أوالجماعية، بعيداً عن الأهواء والميول، أو المصالح الذاتية، أو الطبقية، أو القومية، أو الفئوية، أكثرية كانت أو أقلّية.

وبالإضافة الى ذلك يعطي - هذا البعد الالهي - الثورة بعداً وزخماً لا يمكن أن تجده الثورة عندما لايكون هذا الارتباط موجوداً فيها، حيث

يكون لهذا الارتباط تأثير بالغ على كل الشروط الأخرى التي سوف نشير اليها بعد ذلك.

ولعلّ أوضح مثال على فاعلية وآثار هذا الشرط هو نفس حركة الأنبياء في التأريخ الانساني، فإنّ هؤلاء الأنبياء باعتبار أنّ حركاتهم الثورية التغييرية أوالاصلاحية كانت تتسم بهذا الشرط، نجد هذا البعد والتأثير العميق لحركة الأنبياء في نفوس البشر والناس، بحيث نرى هذا التقديس والالتزام الذي لا ينفصم لدى الناس تجاه هذا التحرك، بحيث يمتد في التأريخ الانساني ويصمد أمام كل الضغوط والمؤثرات ويبقى الى آخر الحياة الدنيوية، ولعلّ أهم نقطة في هذا الثبات والصمود هو هذا البعد لذي يحققه الارتباط بالله في نظرة الإنسان الى الحياة.

فالانسان الذي يرى الأشياء في هذا الوجود من خلال الأمور المادية والمصالح المحدودة بعيداً عن الارتباط بالله سبحانه وتعالى، سوف تكون رؤيته للأشياء مهما اتسعت أوامتدت في حدود هذه الدنيا وحدود متطلباتها ونعمها وملذاتها وآلامها ومآسيها، وسوف ينظر الى الكون والحياة والمجتمع والأهداف والآمال والطموحات من خلال هذه الدنيا المحدودة.

أما عندما يرتبط هذا الإنسان في تحرّكه بالله سبحانه وتعالى، عندئذ سوف يكون لهذا التحرك أبعاد واسعة مطلقة غير محدودة، تشمل عالم الدنيا وعالم الآخرة، سوف يكون للألم مثلاً معنىً آخر يختلف عن معنى الآلام التي يراها الإنسان في هذه الدنيا، فيراه أعظم بكثير من آلام الدنيا في الكم والكيف، وبذلك يجد القدرة على تحمّل ألم الدنيا أوترجيحه في سبيل

التخلّص من آلام الآخرة،

وهكذا بالنسبة للنعم والأفراح والأحزان والشهوات والملذات، فالراحة مثلاً التي يميل اليها الإنسان في هذه الدنيا وكل شهواتها الأخرى، تبقى لها حدود معينة قد يتنازل الإنسان عنها بسهولة باعتبارها محدودة، أما عندما ينظر الإنسان الى وجوده بمنظار الارتباط بالله سبحانه وتعالى ويفترض أنّ هناك حياة أُخرى، لها نعيمها ولها جحيمها، ولها راحتها ولها آلامها، حينئذ تتغيّر صورة الراحة والألم والأضرار والمنافع والمصالح والمفاسد لدى هذا الإنسان، بمقدار استيعابه لمعنى الراحة والألم في حياة الآخرة.

فمسألة الارتباط بالله سبحانه وتعالى في التحرك لها هذا البعد، وهو اتساع نظرة الإنسان لكل الأشياء، باعتبار أنّ هذه النظرة سوف تكون نظرة شاملة غير مقتصرة على هذه الدنيا، وانّما تمتد الى عالم الآخرة، وهو عالم غير محدود في كل معانيه، سواء كانت هذه المعاني مرتبطة بالألم والحزن، أوكانت مرتبطة باللذة والفرح من حياة الإنسان.

وفي بعد آخر من هذا الشرط تجد أن الأهداف والكمالات تصبح لها معانٍ أوسع وأشمل، لأنّ الكمالات والأهداف التي يحصل عليها الإنسان في الدار الآخرة مطلقة وسامية وخالدة، وهذا بخلاف ما يراه الإنسان في الدار الدنيا من هذه الأهداف والكمالات، فإنها مهما كبرت فهي محدودة وآنية.

قال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ

ٱلْمَـَٔابِ﴾ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ﴾(١).

﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٢).

إذن فهذا الشرط شرط مهم وله دور كبير في نجاح الثورة.

وعندما نطبّق هذا الشرط على حياتنا المعاصرة نجد الدور المهم الذي حقّقه هذا الشرط في ثورة ايران الإسلامية، فنحن نجد أنّ الارتباط بالله سبحانه وتعالى وانشداد هذا الإنسان الثائر بالله سبحانه وتعالى، كان له أثر كبير في قدرة هذه الثورة على التحرك وفي تحقيقها للأهداف التي استهدفتها، وكذلك في قدرتها على الصمود والصبر ومواجهة مختلف المؤامرات والمخططات التي واجهتها الثورة.

٢ـ الشرط الانساني للثورة

الشرط الثاني هو البعد الانساني، فانّ كل ثورة من أجل أن تكون قادرة على النجاح وتحقيق أهدافها لابدّ من وجود هذا البعد الانساني فيها، وأقصد بالبعد الانساني أن تكون هذه الثورة مهتمة بتلك المعاني التي فطر الله سبحانه وتعالى عليها الإنسان، لأنّ هذه المعاني تمثّل عنصراً ثابتاً في حياة الإنسان

(١) آل عمران: ١٤ ـ ١٥.

(٢) الحديد: ٢٠.

وتبقى مع الإنسان في كل التأريخ وفي مختلف الظروف التي يمرّ بها هذا الإنسان.

فالثورة عندما يكون فيها هذا البعد الانساني يمكن أن نفترض فيها القدرة على النجاح والبقاء والوصول لتحقيق الغايات، حيث يكون هذا البعد الطاقة المحرّكة في داخل الإنسان، أمّا عندما لايكون للثورة هذا البعد الانساني، فلا يمكن لهذه الثورة أن تحرّك هذا الإنسان إلّا بشكل محدود.

ما هو هذا البعد الانساني للثورة؟

نحن عندما نقرأ تأريخ الأنبياء نجد أنّ هناك خصوصيتين موجودتين ومتمثلتين في تحرك الأنبياء دائماً وأبداً بالاضافة الى (البعد الالهي)، وهاتان الخصوصيتان هما:

أولاً: مقارعة الظلم ورفضه، والدعوة الى الحق والعدل وتحقيق الطمأنينة بالاستقرار.

وثانياً: كرامة الإنسان وعزّته وحريته الحقيقية، والكمالات التي تجسّد طموحه وآماله وتطلّعاته في الحياة.

ونحن عندما نطالع تأريخ الأنبياء نجد أنّ الأنبياء، دائماً وأبداً يؤكدون على هاتين الخصوصيتين بحيث يمكن أن نقول انّ هاتين الخصوصيتين دائماً تمثّلان جوهر القضية في منطق الأنبياء وتحرّكهم.

وفي قراءة بسيطة للقرآن الكريم ومطالعة لقصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم الذي هو أفضل مصدر يمكن أن نعتمد عليه في فهم

تأريخ حركة الأنبياء، نجد أنّ الأنبياء يؤكدون على هاتين الخصوصيتين(١).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾(٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

وقد اهتمّ النبي في رسالته بهذا الجانب الانساني في الحياة المعاصرة لنزول الوحي عندما تحدّث عن رفض الأصنام والوثنية والأوهام والخرافات والتقليد، وكذلك عندما تحدث عن تقييم العلاقات القبلية والاجتماعية، وكذلك رفض الظلم الذي كان يمارسه الطغاة اتجاه الناس، وعمل على تحرير

---

(١) أتذكر في هذه المناسبة قضية عشتها مع السيد الشهيد الصدر هي: أنه في بداية تحركه الأخير الذي صمّم فيه على مواجهة نظام الطاغية في العراق كان يقول: نحن لابدّ لنا عندما نفكر بالتحرك في العراق أن نؤكد على هذا البعد الانساني في الحركة، فالانسان لا يكفي في تحريكه أن نتحدث اليه في مسألة الارتباط بالله سبحانه وتعالى فقط بعيداً عن المسائل والقضايا الأساسية التي يعيشها ويتلمسها في حياته ويتعامل معها يومياً، وإلّا فسوف نصاب بالعزلة عن الجماهير ان لم نؤكد على هذا الجانب الانساني.

ولعلّ أحد الأسباب الرئيسية لنجاح الثورة الإسلامية في ايران هو اهتمامها بهذا الجانب الانساني اهتماماً بالغاً وتأكيدها على مسألة رفض الظلم والذل والتعامل مع القضايا اليومية الهامة التي كان يعيشها المجتمع، ويمكن أن نلاحظ ذلك في قراءة سريعة لأحداث وتطور الثورة الاسلامية في ايران، ومطالعة لخطابات الإمام الخميني قبل انتصار الثورة الإسلامية حيث نجد هاتين الخصوصيتين واضحتين في أحاديثه.

(٢) القصص: ٤ ـ ٥.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

ارادة الإنسان من الشهوات.

ودعى الى العزّة والكرامة الإنسانية والمساواة بين الناس، الى غير ذلك من المعاني الإنسانية بالاضافة الى قضية العبادة لله تعالى وتوحيده والارتباط به.

والتأكيد على هذا البعد الانساني كما يعني الاهتمام بفطرة الإنسان وبحاجاته الأساسية، كذلك يعني في نفس الوقت الاهتمام بالواقع الحياتي للأُمة والتأثير فيه وتحريكه من خلال القضايا الحسيّة المعاشة للسير في طريق التكامل، فالانسان الذي يعيش حالة من الظلم والاضطهاد والرعب والذل والعبودية للانسان الآخر أوللحجر، لا يمكنه في يوم من الأيام أن يتّجه لله سبحانه وتعالى ويسعى الى الكمالات الالهية، ولا يكون قادراً أن يرتبط بالله سبحانه وتعالى ارتباطاً حقيقياً ليكون متصفاً بالصفات الالهية التي تمثل الكمال المطلق، فالانسان عندما يكون عبداً لغير الله لايمكن أن نفترضه في نفس الوقت عبداً لله، واذا أردنا منه أن يتمخض في العبودية لله سبحانه وتعالى لابدّ لنا من أن نحرّره من العبودية لكل موجود آخر، والإنسان الذليل المستسلم للواقع لايمكنه أن يقاوم الظلم ويغير هذا الواقع الى الأفضل، فهي قضية ذات بعد الهي ولكنها في نفس الوقت لها بعد انساني.

فمسألة رفض الذل تمثّل في الحقيقة تحرير الإنسان من عبودية الآخرين واخلاص العبودية لله، وهكذا مسألة حاجات الناس ومتطلباتهم، فهي في الوقت الذي تمثّل استجابة للمشاعر والأحاسيس الإنسانية وملء الفراغ فيها، تمثل أيضاً استقراراً للنفس الإنسانية وطمأنينة لها، يمكّنها من

ادراك الحقائق ومعرفة طريق الهداية.

وهذا البعد الانساني والجانب الأخلاقي في الإنسان يمثّل قاعدة أيّ بناء اجتماعي أوفردي صالح في المسيرة الإنسانية، كما يمثّل التغيير فيه، التغيير الحقيقي في الإنسان والمجتمعات الإنسانية، وتمثل القضايا الأخرى البناء الفوقي.

كما أن هذا الجانب الانساني يعبر - في بعد آخر له - عن الحاجات الأساسية في الحياة الإنسانية، والتي بدونها تضطرب حياة الإنسان وتتحول الى جحيم وظلام.

وبصدد الاشارة الى هذا البعد جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه: «**كاد الفقر أن يكون كفراً**»، باعتبار أنّ مسألة اختلال الحاجات الأساسية لهذا الإنسان تجعل هذا الإنسان بطبيعته بعيداً عن الله سبحانه وتعالى والارتباط به، فهذا البعد الانساني لا يمثل في الثورة الناجحة الأصيلة اهتماماً بمتطلبات الإنسان وحاجاته وقضايا العدل والقسط فحسب، وانما هو أيضاً يمثل اهتماماً بالبعد الأول الذي هو البعد الأخلاقي مثل قضايا العزّة والكرامة والشرف والاستقامة والصدق.

٣- الشرط العلمي للثورة

الشرط الثالث الذي يمكن أن يذكر في مجال شروط الثورة الناجحة، هو البعد العلمي، يعني أنّ كل ثورة اذا أريد لها أن تصل الى أهدافها وأن تحقّق غاياتها النبيلة. لابدّ أن يكون وراء هذه الثورة عقل يخطّط لها تخطيطاً علمياً

ينسجم مع السنن التأريخية ويسير بهذه الثورة الى تلك الأهداف، أمّا عندما تفقد الثورة الخطّة الصحيحة والرؤية الواضحة للواقع والأهداف وتفقد التدبير والحكمة في العمل والمنهج والأسلوب، حينئذ يمكن أن تتحوّل هذه الثورة الى مجرّد انفعالات عاطفية أومشاعر وأحاسيس نبيلة، أوالى مجرّد ردود فعل وتمرد وانعكاس للواقع السيّء، ولا تصبح عملية تغييرية بنّاءة، تهدف الى العدل والقسط والتكامل الانساني، أوتتحوّل الى فوضى اجتماعية لا يمكنها أن تحقق مصلحة للمجتمع، أوأن تصل الى غاية صحيحة.

والقرآن الكريم طبعاً يؤكد على ذلك في مسألة الدعوة الى الله سبحانه وتعالى، وفي مسألة دفع الناس نحو الارتباط بالله سبحانه وتعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

اذن فمسألة الحكمة والموعظة الحسنة والتخطيط والتدبير شيء ضروري في نجاح الثورة والوصول الى أهدافها، لأنّ عملية التغيير عملية معقّدة وعسيرة وتحتاج الى تدرّج في العمل، واستنفاذ لكل الوسائل واستفراغ لكل الجهود، وصبر وعزيمة وتشخيص لطبيعة الظروف والامكانات والاستفادة من كل الطاقات والعوامل المؤثرة.

ولعلّ أحد أهم ما يميّز ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، بل تحرّك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بشكل عام عن ثورات وانتفاضات الخوارج أوبعض العلويين في التأريخ الاسلامي هو هذا الجانب في الحركة.

حيث كانت تفقد الكثير من هذه الانتفاضات عنصر التخطيط

أو تشخيص الأهداف والظروف، الأمر الذي أدّى الى فقدانها لعنصر التأثير التغييري في المجتمع الاسلامي، أوكان تأثيرها محدوداً.

المبادرة ورد الفعل

ويدخل في هذا الجانب عنصر مهم لابدّ لنا أن ننتبه اليه في هذا المجال، وهذا النعصر هو مسألة أخذ زمام المبادرة في العمل الثوري التغييري، يعني أنّ الثورة بمعناها الحقيقي تعني حالة من الابتكار والمبادرة يتّخذها الإنسان الثائر الذي يستشعر الظلم والذل من خلال التخطيط لرفع هذا الظلم وتغيير الواقع، والبدء بعملية الهجوم على هذا الواقع الفاسد والظالمين من أعداء الله وأعداء المحرومين والمستضعفين، وذلك بعد الوعي الكامل لهذا الواقع والعمل على تغييره تغييراً حقيقياً على أساس الحقّ والعدل.

وعنصر المبادرة هذا يختلف بحسب الحقيقة عن عنصر رد الفعل فانّ الإنسان الذي يستشهد في سبيل الله ويقتل مظلوماً من أجل الله يمكن أن نفترض فيه فريضتين:

إحداهما: الشهادة (في حالة المبادرة).

والأُخرى: الشهادة (في حالة ردّ الفعل).

الإنسان الذي يستشهد في حالة المبادرة معناه: أنّ هذا الإنسان بتخطيط وتصميم مسبق يفكّر بالقيام بعمل تغييري معيّن قد يؤدي به الى الشهادة، ثم يستشهد.

فشهادة هذا الإنسان هنا تكون شهادة مبادرة، أي شهادة هدفها التغيير،

وقد خطّط لها بشكل مسبق واتخذ قرارها.

وقد يستشهد هذا الإنسان مظلوماً وبعدوان من الظالمين أيضاً، ويكتب - ان شاء الله - عند الله سبحانه وتعالى في الجنان كشهيد، لكن لايكون هذا الاستشهاد مخططاً له، أولا يكون له دور تغييري، وانّما هو تعبير عن ردّ الفعل والاحساس بالظلم، فيكون هذا الاستشهاد منطلقاً على أساس انّ الظالم من أجل أن يفرض هيمنته وسيطرته على الناس لابدّ له أن يخيفهم أو يمنعهم من كل أشكال التحرك، فيقوم بقتل الناس المؤمنين، هؤلاء أيضاً يكونوا شهداء على الظلم والعدوان، باعتبار أنهم قتلوا بسيف الظالم ظلماً وعدواناً ومن أجل ايمانهم بالله سبحانه وتعالى.

ولكن هذا الشهيد لايكون شهيد مبادرة وثورة وتخطيط، ولا يكون شهيد تفكير وتصميم مسبق على تحقيق هذه الشهادة، وانّما يكون شهيد قمع واضطهاد وظلم[1].

والثورة التي يمكن أن تحقّق نجاحها وتصل الى غاياتها هي تلك الثورة التي تخطّط للانتفاضة على الظالم ولدفع الظلم، والخلاص من الذل والفساد.

ويكون لدى ابنائها ورجالها العزم والتصميم والإرادة على التغيير والتضحية والبذل والعطاء من أجل تحقيقه وهذا هو ما أراده القرآن الكريم من المؤمنين: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ

---

(١) نشاهد في الكثير من بلدان العالم الاسلامي الآلاف من خيرة أبناء الأُمة خصوصاً في العراق الجريح قد استشهدوا بهذه الطريقة، أي استشهدوا بظلم الظالم وبمادرته للانتقام من المحرومين والمستضعفين، وكتم الأنفاس واسكات الأصوات، وادخال الرعب في قلوب الناس المؤمنين دون أن يكون لدى الكثير من هؤلاء المؤمنين تصميم على الشهادة أوتخطيط للتغيير.

وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾(١).

٤- الشرط العاطفي للثورة

البعد الرابع هو البعد العاطفي الوجداني في الثورة، الثورة في الحقيقة قد تملك ارتباطها بالله سبحانه وتعالى، وقد تملك أيضاً البعد الانساني في مضمونها واطروحتها. وقد تملك هذه الثورة أيضاً البعد العلمي، أي عنصر التخطيط والمبادرة، ولكن مع ذلك قد لا تصل الثورة الى غاياتها وأهدافها ما لم يكن يتوفر لديها البعد الوجداني والعاطفي.

فالبعد الوجداني يمثل وقود الثورة. لأنّ الوعي والادراك للواقع الفاسد وحده، وكذلك التخطيط وتشخيص الأهداف وحدهما لا يحرّك هذا الإنسان، بل يهديه الى الطريق الصحيح وينير له الدرب.

وانّما الذي يمنح الطاقة والقدرة على التحرك والاندفاع، هو الجانب الوجداني في الإنسان. فالثورة تحتاج الى الأهداف والشعارات والمفاهيم والتخطيط ولكن أيضاً تحتاج الى هذا الجانب الوجداني من أجل أن تكون قادرة على الحركة وقادرة على الفاعلية، لأنّ الجانب الوجداني هو الطاقة المحرّكة للانسان، والعقل والأهداف المقدسة تمثّل عنصر الهداية واختيار الأسلوب والمنهج الموصل للهدف.

والجانب الوجداني في الثورة الصحيحة ينطلق دائماً من حب الإنسان لله

(١) النساء:٧٥.

تعالى:﴿والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾.

وبالتالي حب كل ما يرضي الله تعالى وأوليائه الصالحين، وحب كل المعاني الخيّرة التي أودعها الله تعالى في هذا الإنسان من العدل والاحسان والعزة والكرامة والحرية، بحيث تتحوّل هذه المعاني الى المشاعر والأحاسيس والعواطف التي يتفاعل معها هذا الإنسان.

وأما في الحركات الثورية المادية فينطلق هذا الوجدان والعواطف من التركيز على الغرائز الإنسانية والشهوات والملذات والمنافع الآنية، التي يتحسّسها الإنسان ويلمسها في حياته اليومية.

ولذلك لابد في الثورة الصحيحة من تعميق عنصر الحب لله تعالى في الإنسان ولأوليائه ولكل هذه المعاني الخيّرة، بحيث تتحوّل الى وجدانه وعواطفه وأحاسيسه، ولابدّ من اثارة جميع مكامن هذا الحب وهذه المشاعر.

ويعتبر الجهاد في سبيل الله والتصميم على الشهادة تجسيداً حقيقياً لنمو وتكامل هذه المشاعر، حيث يرغب الإنسان المؤمن بلقاء الله تعالى، وكذلك تعبيراً عن تصاعد الحالة الوجدانية لدى الإنسان المؤمن، بحيث يعبّر عن هذه الحالة الوجدانية الواعية والمخططة بالاقدام على بذل نفسه وماله في سبيل تحقيق هذه الأهداف.

فالإنسان المؤمن عندما يعشق الله تعالى ويعشق الدرجات العالية في الدار الآخرة واللذات والشهوات التي يحصل عليها في تلك الدار، يتصاعد هذا الحب في وجدانه فيقبل على الله تعالى ويكون على استعداد كامل للقاء الله تعالى والوصول الى هذه الغايات.

كما أنّ الشهادة ليست مجرّد عاطفة فوضوية واندفاع أعمى، وانّما هي حالة وجدانية وعاطفية تعتمد على العقل والرؤية الصحيحة للأشياء والتخطيط المسبق للعمل، مع تصاعد في الحالة الوجدانية والمشاعرية يحصل فيها الإنسان - من خلال تضحيته - على مجموعة من هذه الحقائق وعلى رأسها حبّه العميق لله تعالى.

فالعاطفة والوجدان ضرورة من ضرورات الثورة الناجحة الصحيحة القادرة على تحقيق أهدافها. ولابدّ أن نهتم بالجانب العاطفي ونصعّد هذا الجانب في العمل الثوري السياسي، حتى يمكن أن يصل الإنسان الى الاستعداد للتضحية والشهادة.

وهذا الجانب -كما قلت - يمثّل عنصر الوقود والطاقة المحرّكة للثورة، والجهاز الذي يكون قادراً على أن يمنح الثورة ديمومتها واستمرارها لتحقيق أهدافها، ويتمثل بألوان مختلفة من البذل والعطاء، سواء كان بذل المال أوبذل الجاه أوبذل الجهد البدني، حتى يصل هذا البذل في قمته الى بذل النفس الذي هو الشهادة، لأنّ هذا يمثل قمّة الارتباط بالله سبحانه وتعالى وقمّة العشق لله وللقيم والمثل الالهية، وبذلك يكون قادراً على صنع الثورة وحمايتها بعد ذلك.

٥- الشرط الجماهيري للثورة

الشرط الخامس توفّر البعد الجماهيري، أي أنّ الثورة قد تملك الأبعاد الأربعة، فتكون مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، وتكون ثورة ذات بعد انساني،

وتكون عن تخطيط مسبق، وأيضاً تكون ذات بعد وجداني عاطفي، ولكن مع كل ذلك ومن أجل أن تحقّق هذه الثورة أهدافها في التغيير، لابدّ أن يكون لها وجود جماهيري وقاعدة واسعة في الأُمة تتفاعل معها، وتؤمن بمفاهيمها وشعاراتها وأهدافها.

أما اذا كانت هذه الثورة موجودة في قائد واع مدرك متحمّل لكل هموم الانسانيّة وتتمثل فيه كل الأبعاد الأربعة، ولكن كان هذا القائد في همومه واهدافه وشعاراته في معزل عن فهم هذه الجماهير ووعيها، لظرف من الظروف أولسبب من الأسباب أواذا كانت هذه الثورة في نخبة من الناس صالحة مؤمنة بالله سبحانه وتعالى مستوعبة للاسلام، قادرة على فهم الإسلام ومستعدة لأن تبذل كان وجودها وقدارتها وكل ما لديها في سبيل القضية، ولكن هذه النخبة لم تكن موجودة في أفكارها وشعاراتها وأهدافها في أوساط الجماهير. هنا لا يمكن أن تحقّق الثورة أهدافها... لماذا؟

١ ـ لأن الهدف الحقيقي للثورة هو عملية تغيير الأمة، وايجاد التحوّل الاجتماعي والسياسي فيها. فما لم تكن الأُمة قد استوعبت بدرجة معقولة هذه الأهداف والمفاهيم والشعارات لايمكن أن نفرض تفاعل الأُمة مع الثورة، وانّما تصبح الحركة عملية انتحارية، أوثأرية، أوانفعالية، أوتعبير عن موقف محدود قد يكون مبرّراً من الناحية الشرعية أوالسياسية، ولكنّه لا يحدث التغيير المطلوب.

٢-كما أنّ أداة التغيير في الثورة ووقودها في عملية المواجهة مع الطغاة والمستكبرين، هي الأُمة والجماهير التي يمكنها باذن الله تعالى أن تحدث

التغيير المطلوب وتقف أمام الطغيان والجبروت وتتغلّب عليه وتحقّق النصر والفتح.

٣- ومن أجل أن تستمر عملية التغيير وتدوم بعد النصر، لابدّ للثورة من حماية تضمن لها الدفاع عن نفسها أمام الأعمال والعناصر المضادة التي تتحرّك عادة للقضاء على الثورة ووأدها في مهدها، والجماهير هي العنصر الوحيد بعد الله تعالى التي يمكنها أن تقوم بهذه المهمة.

فمهما كان القائد صالحاً والشعارات والمفاهيم واقعية والأهداف حقّة ومقدسة والنخبة مستعدة للتضحية والفداء، فانّ الثورة لا تنجح ما لم يتوفّر هذا العنصر الأساس المهم، وهو وجودها في هذا الوسط الجماهيري الذي يمكنه أن يتفاعل معها.

ولذا لابدّ من أجل القيام بأي ثورة من تعبئة هذه القاعدة الجماهيرية وتهيئتها فكرياً وسياسياً ومعنوياً، ليتحقّق هذا التفاعل المنشود. وبدون ذلك فانّ العمل الجهادي التي تقوم به النخبة أوالشخص قد يكون مبرراً لسبب أوآخر شرعاً أوعرفاً ويكون مصير صاحبه أوأصحابه هو الجنان، ولكنه لا يكون ثورة تغييرية مؤثرة على مستوى الأمة والمجتمع.

وهنا لابد أن نلاحظ أن فعلية التغيير وسرعته وحضوره، أوتأخيره وبطأه أوفي المستقبل، يرتبط أيضاً بهذا الجانب ومدى وجود الثورة وحضورها في وسط الأُمة وتفاعل الأُمة فكرياً وعاطفياً وإرادياً مع الثورة، أوتقلص دائرة التفاعل وحصرها بالدائرة الفكرية، أوالفكرية والعاطفية، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التحليل والتوضيح في المحاضرة الثالثة.

ثانياً: ثورة الحسين ﷺ وأبعاد الثورة الناجحة

بعد هذا التصوّر لأبعاد وشروط الثورة الأصلية والناجحة، لابدّ لنا أن نشير الى مدى توفّر هذه الشروط في ثورة الإمام الحسين ﷺ.

ثورة الحسين ﷺ تجسّد الارتباط بالله

فالبعد الأول من أبعاد هذه الثورة، وهو بعد الارتباط بالله سبحانه وتعالى، لا شك أنه متحقق في تحرك الإمام الحسين ﷺ، وعندما نقول بأنّ هذا البعد موجود في تحرّك الحسين ﷺ لا نقصد بذلك ارتباط شخص الحسين بالله سبحانه وتعالى فحسب، وانّما نقصد ارتباط التحرّك بمجمله بالأهداف الالهية، وارتباط القضية بالله وبالاسلام التي تحرّك في اطارها الإمام الحسينﷺ، وإلّا فشخص الحسين ﷺ امام معصوم مرتبط بالله سبحانه وتعالى بلا شك لدى أي واحد من المسلمين، وانّما نقصد المفاهيم والشعارات والأهداف والاطار العام الذي طرحه الإمام الحسين ﷺ لحركته ونهضته، وكذلك استجابة الناس له والتزامهم بمنهجه انّما كان مطلقاً من هذه الأهداف والشعارات.

وهذا أمر واضح من خلال مراجعة الخطاب السياسي للامام الحسين ﷺ ومجموعة الخطب التي خطبها الحسين ﷺ، ومجموعة الرسائل التي أرسلها

الى المسلمين في مختلف أقطارهم، وكذلك من خلال دعوة المسلمين من أهل الكوفة وغيرهم للامام الحسين عليه السلام للنهوض، ونظرتهم الى (يزيد) وأنّه انسان منفصل عن الإسلام وبعيد عنه[١].

فنفهم من كل هذه الأمور وغيرها أنّ هذا التحرك مرتبط بالله سبحانه وتعالى وواجد لهذا البعد، وليس تحركاً قائماً على أساس آخر وبعد آخر، وقد أوضحنا ذلك عندما درسنا التفسير الصحيح لثورة الإمام الحسين عليه السلام، ولعلّ في وصيته التي أوصىٰ بها أخاه محمد ابن الحنفية ما يوضح هذه الحقيقة، حيث قال:

«انّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وانّما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحق ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين».

(١) هناك بحث في توضيح الجانب الشرعي في هذه النهضة وبيان الأدلة والشواهد الإسلامية والفقهية التي يستند اليها هذا الجانب والتي يمكن فهمها من خطاب الإمام الحسين عليه السلام، ومن خطاب أصحابه، وخطاب وموقف بعض المناوئين السياسيين للامام الحسين، سواء أولئك الذين التحقوا به بعد ذلك اواستمروا في موقفهم عملياً، وكذلك موقف المسلمين عامة وبالخصوص أهل الكوفة الذين كانوا يمثلون درجة عالية نسبياً من الوعي، وأيضاً موقف كبار الصحابة والتابعين في عصر الامام الحسين عليه السلام وغير ذلك من الشواهد.

كل ذلك في مقابل النصوص التي قد يستدل بها البعض أويتوهم منها وجوب التسليم للحاكم الظالم الجائر(وقد نوفق لنشر هذا البحث).

ثورة الحسين رفض الظلم والذل

البعد الثاني هو البعد الانساني، اذ من الواضح أيضاً من خلال تحرك الحسين ﷺ ومن خلال تعامله مع القضايا والأحداث، ومن خلال خطبه وكلماته، أنّ الحسين ﷺ كان يؤكد على قضية رفض الظلم.

والشواهد على ذلك كثيرة تذكرها كتب الحديث والتأريخ، وهو من القضايا الواضحة لديكم في نهضة الإمام الحسين ﷺ، ولكن مع ذلك نشير الى بعض هذه الشواهد من أقوال الحسين ﷺ وأحاديثه، منها حديث الحسين ﷺ وخطبته عند التقاءه بالحر بن يزيد:

«أيها الناس انّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وانّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقّ ممّن غيّر.»

وقال في موقف آخر: قال له أبو هرم: يابن رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم جدّك؟ فقال:

«يا أبا هرم انّ بني أميّة شتموا عرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطلبوا دمّي فهربت، وأيم الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ويسلّط عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ، اذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودماءهم».

فالحسين ﷺ كان يركزّ على الظلم والجور الذي كان يمارسه يزيد وبني

أُمــية تــجاه المســلمين وتـجاهه بشكـل خـاص، وكـذلك قـضايا الحـرمان والاستضعاف وممارسات الأمويين ويزيد بالخصوص للأسـاليب الوحشـية تــجاه المســلمين فــي ذلك العـصر، وكـذلك مسألة مـحاولات يـزيد لاذلال المســلمين واضـطهادهم ومـمارسة حـالة القـيمومة والسيادة عـلى هـؤلاء المسلمين، هذا البعد الانساني كان بعداً مطروحاً في تحرّك الحسين عليه السلام.

فالحسين عليه السلام لم يكن يدعو النـاس الى مسألة اقـامة الشـعائر والعـبادات مثلاً، أوالارتباط بالله سبحانه وتعالى ارتباطاً منفصلاً عن الحـياة والمـجتمع، وانّما كان يؤكد أيضاً على هذا الجانب الانساني فـي تـحركه والقـضايا التـي يعيشها الناس في حياتهم.

ولعلّ في الكلمات الآتية المعروفة عن الإمام الحسين عليه السلام ما يجسّد هـذا المعنى بشكل واضح تمثّل هذا البعد:

«والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقرّ اقرار العبيد»

«ولا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما»

و«الموت أولى من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار».

«ألا وانّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّـة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصالح الكرام».

التخطيط في ثورة الحسين عليه السلام

البعد الثالث أيضاً وهو بعد الخطّة، فانّه من الأبعاد الثابتة في حركة الإمام

الحسين ﷺ، وقد يكون في هذا البعد بعض الغموض عند الكثير من الباحثين، حيث يتصورون أنّ الحسين ﷺ لما كان عارفاً أنّه سوف يقتل في كربلاء وأنّ أصحابه سوف يقتلون أيضاً وسوف تسبى عياله، لما كان عارفاً بهذه النهاية وعارفاً بهذا المصير، لم يكن مهتماً بمسألة التخطيط للثورة وللهدف المعلن، وهو مسألة الاطاحة بنظام يزيد واقامة حكم الإسلام مقام ذلك الحكم، مع أنّ الحسين ﷺ في الوقت الذي كان يعرف هذه النتيجة والنهاية وكان لديه وراء هذه التضحية التي جسّدها في كربلاء أهداف مشخصة ومعيّنة - أشرنا اليها سابقاً وسوف أشير الى بعضها الآخر - بالرغم من كل هذا نجد أنّ الحسين ﷺ كان يخطط لهذا التحرك بشكل كامل، وكأنّه إنسان يتصوّر قدرته على استلام الحكم من يزيد واقامة الحكم الاسلامي مكان حكم يزيد، حتى توهم بعض الباحثين من خلال دراستهم الى هذه الخطط التي كان يرسمها الإمام الحسين ﷺ أنّه كان يحتمل وصوله الى الحكم، وحتى أن بعضهم ذهب به الوهم الى أن يتصور أنّ الحسين أخطأ في معرفة الحقيقة وتشخيص طبيعة الأوضاع السياسية والواقعية، وأنّ الرياح جرت بخلاف تقديرات ربّان السفينة.

وقلنا في حديث أنّ الحسين ﷺ لم يكن يقدّر في تحليله السياسي للأوضاع الوصول الى الحكم، ولكن مع ذلك لم تكن تفقد حركته ونهضته التخطيط، يعني أنه كان يخطّط ويبذل كل جهده من أجل الوصول الى هذا الهدف وتحقيق هذه النتيجة، ومن هنا لا يتحمّل الحسين أية مسؤولية في قضية التخطيط.

والسر في ذلك هو: أنّ التخطيط وبذل الجهد يمثل أولاً: الوفاء بالوظيفة والواجب الشرعي في هذا المجال، فانّ على الإنسان أن يسعى ويبذل كل قدرته من أجل الوصول الى الحكم الاسلامي، وبالاضاف الى ذلك يمكن أن نشير الى أنّ التخطيط بنفسه يترك آثاراً نفسية وسياسية واجتماعية على مجمل الأوضاع العامة للمسلمين، وهذا هو ماكان يستهدفه الإمام الحسين عليه السلام من وراء هذا التخطيط.

حيث أنّ العملية بدون التخطيط لها قد تبدو وكأنّها عملية انتحار أومجرّد انفعال ورفض للظلم والذل، وأما مع التخطيط فالعملية تتحوّل الى عمل ثوري وسياسي عام يرتبط بالأُمّة كلّها، وتتفاعل الأُمة مع أهدافها ومقاصدها وشعاراتها ومفاهيمها.

وهنا يجدر بنا أن نذكر بعض الشواهد التي تؤكد وجود عنصر التخطيط في نهضة الحسين عليه السلام:

١- موقف الحسين عليه السلام من البيعة عندما طلب منه والي المدينة البيعة، فإنّ الحسين كما تعرفون كان قد خطط لاعلان الرفض في ذهابه الى الوالي، ولم يصنع كما صنع غيره ممّن دعاه الوالي الى البيعة كعبد الله بن الزبير أوعبد الله بن عمر، وفي نفس الوقت لم يذهب الى الوالي بشكل عفوي وانّما خطط لذهابه الى الوالي فاستصحب جماعة من بني هاشم معه وكلّفهم أن يقفوا على الباب وعندما يسمعوا صراخه وصيحته عليهم أن يدخلوا وينقذوا الحسين عليه السلام، ثم كان الحسين قد خطط للحديث مع الوالي. كيف يبدأ وكيف ينتهي من الحديث.

٢- وصيته الواضحة لأخيه محمد بن الحنفية، والتي لم تتضمن إلّا شعارات النهضة والحديث عنها مع أنها كانت في بدايتها.

وكذلك اصراره على أن يلتزم في مسيره الى مكة الطريق العام ليعرّف الناس جميعاً هذه الحقيقة بالرغم من أنّ بعضهم طلب منه تجنب الطريق العام لاخفاء نفسه عن الأعداء.

٣- ذهاب الحسين عليه السلام الى مكة وبقاءه هناك حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، يعني يوم التروية، ففي هذا الانتقال الى مكة كان يستهدف الحسين عليه السلام عدة قضايا في التخطيط للثورة.

فبالاضافة الى أنّ مكة تعتبر موطناً آمناً نسبياً لما حباها الله تعالى ممن قدسية وجعلها بلداً آمناً في الإسلام وكذلك في تأريخ العرب أنفسهم، كان الحسين عليه السلام يخطط من خلال مكة للاتصال بالمسلمين من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، حيث تمكن أن يتصل بجماهير واسعة من المسلمين الذين يردون على مكة كحجاج.

وفي بعد ثالث تمكّن الإمام الحسين عليه السلام أن يقوم بعملية ارسال الرسائل الى مختلف الأقطار الإسلامية. فهذه الأبعاد تدلّ أيضاً على وجود عنصر التخطيط في حركة الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن تحركه تحركاً عفوياً.

٤- ارسال مسلم بن عقيل الى أهل الكوفة، فانّ هذا يدخل كعنصر مهم في التخطيط، فالحسين عليه السلام أرسل مسلم بن عقيل لكي يهيء الأجواء في الكوفة ويعبّئ المسلمين وينظمهم ويأخذ البيعة منهم، ويدرس مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والروحية فيها، وكذلك يعرّف المسلمين

أهداف الثورة ومقاصدها.

نعم، كان الحسين عليه السلام يعرف أنّ مسلم سوف يقتل في النهاية، وأنّ الحسين عليه السلام نفسه سوف يقتل أيضاً في كربلاء قبل أن يصل الى الكوفة، ولكن هذه التضحية وهذه النهاية مسألة أُخرى لها غاياتها وأهدافها، وانّما هو كانسان ثائر يسعى للاطاحة بالنظام الحاكم وكشف حقيقته والتأثير بالأمة الإسلامية، كان عليه أن يبذل كل ما في وسعه وجهده من أجل تحقيق هذه الأهداف، ومن أجل أن يوفر لهذه الثورة شروطها ويضع عن عاتقه المسؤولية الملقاة عليه. وهي مسؤولية مواجهة هذا النظام.

كما أن ذلك وضع أهل الكوفة أمام مسؤوليات دينية وأخلاقية وسياسية، وفي نفس الوقت وفرّ الغطاء السياسي والاجتماعي والمبرر الطبيعي لحركته وثورته، ويبدو كل ذلك واضحاً من خلال خطابه السياسي في الخروج من مكة أوفي الطريق الى الكوفة أوفي يوم عاشوراء.

وقد قام مسلم بن عقيل بنشاط عظيم في هذا المجال وحقق بعض الانجازات المهمة التي كان لها بعد ذلك دور كبير في النتائج والآثار، فقد تمكن من أن يأخذ البيعة من جماهير أهل الكوفة، ويصعّد أجواء المواجهة الى حد اخراج الكوفة عملياً من سلطة الحكم الأموي، وأصبح التحرك ضد النظام للأُمّة كلها لا للحسين وحده. وأصبحت المطاردة والمظلومية والشعارات عامة ومشتركة، كما اشترك فيها شيوخ العشائر وقادة الجيش ورجال السياسية الى جانب الأفراد العاديين، ولم يكن النظام قادراً على

السيطرة على الأوضاع من خلال «الشرعية» أوالشعارات الكاذبة أوالمفاهيم المزورة و(الموضوعة)، وأصبح القمع هو الوسيلة الوحيدة لبقاء النظام، وكان هذا من أروع الخطط والبرامج التي وضعها الإمام الحسين عليه السلام ونفذها مسلم ابن عقيل، والتي حققت بعد ذلك أفضل النتائج[١].

٥- الرسائل والكتب التي أرسلها الحسين عليه السلام الى مختلف الأقطار الإسلامية، الى الكوفة، والى البصرة، والى اليمن، هذه الرسائل التي كان يستنهض بها المسلمين ويشرح لهم فيها أفكاره وأهدافه، فانّ كل هذه الأُمور تدخل أيضاً كعنصر من عناصر التخطيط للثورة.

٦- خروج الحسين عليه السلام في الثامن من ذي الحجة يعني يوم (التروية) أي في نفس اليوم الذي يتوجه فيه الحجاج الى منى وعرفات، فانّ الحسين عليه السلام وجد أفضل طريق للاعلان عن ثورته أمام جماهير المسلمين أن يتخذ طريقاً آخراً يلفت اليه نظر الحجاج.

وبذلك أصبح المسلمون على علم بهذه النهضة، وفي نفس الوقت على علم بالأساليب الوحشية التي يستخدمها النظام لمطاردة الصالحين، حيث أعلن الحسين أنّ السبب في هذا الخروج المستعجل هو محاولة النظام للقيام بقتله في مكة. كما كشف الحسين عليه السلام بذلك استهتار النظام بالحرمات الإسلامية عندما أعلن أنّ خروجه كان بسبب أنّه يريد أن يجنّب الحرم

(١) ومن هنا يمكن تقييم عمل مسلم بن عقيل عليه السلام أنه كان من أهم الأعمال التي تستحق هذه التضحية، وكان ممهداً بل مكملاً لعمل الحسين عليه السلام وتحقيق أهدافه.

والمسجد الحرام الهتك من خلال اراقة الدماء فيه(١).

٧- ابقاء ابن عمه عبدالله بن جعفر وأخيه محمد بن الحنفية وحبر الأمة عبدالله بن عباس في المدينة وفي مكة وعدم استصحابهم معه، يمكن أن نعتبره عنصراً من عناصر التخطيط، لأنّ هؤلاء بقوا في هذه المراكز المهمة من أجل أن يؤدوا عدة أدوار يأتي في مقدمتها شرح وتوضيح خلفيات هذه الثورة، بالاضافة الى أنّهم عيون يرصدون حركة الأعداء ويناورون في الحركة السياسية، وبذلك تكون عملية الثورة متكاملة بأساليبها وأدوارها.

٨- مسألة استصحاب الحسين (ع) لعيالاته وأهل بيته في مسيرته الى كربلاء تدخل أيضاً كعنصر من عناصر التخطيط في هذه الثورة، لأنّه كان من الممكن أن نفترض أنّ الحسين بمجرد أن يتحرك يقوم النظام بالقاء القبض على عيالاته وعلى أولاده ويأخذهم كرهائن لممارسة الضغط عليه، وحينئذ يكون موقفه محرجاً أمام المسلمين وأمام نفسه، عندما تكون صورة الموقف هي: موقف الإنسان الذي ضيّع عيالاته من أجل النجاة بنفسه(٢).

وبالاضافة الى ذلك فانّ عيال الحسين (ع) وبالخصوص أخته العقيلة

---

(١) مقتل الحسين / ص ١٦٥-١٦٦/ عن تاريخ الطبري وتاريخ مكة للأزرقي.

(٢) أنا أذكر بهذا الصدد موقفاً للسيد الشهيد الصدر يشبه الى حد بعيد موقف الحسين (ع) هذا الذي قلت أنه يدخل كعنصر من عناصر التخطيط، فقد كان بعض المؤمنين وبعض الصالحين القريبين من السيد الشهيد الصدر يفكر في انقاذ السيد الشهيد الصدر من بيته بعد أن قام النظام باحتجازه فيه، ولكنهم واجهوا اصرار السيد الشهيد الصدر على البقاء في بيته وعدم الاستجابة للخطة بعد أن كانت غير قادرة على استيعاب اخراج السيد الشهيد الصدر مع كل عيالاته، وأراد الشهيد الصدر أن يتفادى الوقوع في هذا المأزق وهو أن يخرج، ولكن تتحوّل عيالاته رهينة بيد أعداء الله البعثيين، فانّ هذا الأمر بالاضافة الى أنه يشكل ضغطاً نفسياً كبيراً على الإنسان فهو أمر غير مقبول في الذهنية العامة للأمّة.

الكبرىٰ زينب، قاموا بدور عظيم في الدفاع عن موقف الإمام الحسين عليه السلام والتعريف بالثورة بعد مقتل الحسين عليه السلام، وفي تأجيج العواطف وهزّ الوجدان والضمير لدى الأُمة.

اذن فهذه المسألة كانت أيضاً داخلة في تخطيط الحسين عليه السلام.

كما أن عملية السبي التي كان يتنبأ بها الإمام الحسين عليه السلام كان لها دور عظيم في فضح شراسة بني أُمية وهمجيتهم واستهتارهم بالاسلام وقيمه، لأن قتل الحسين عليه السلام اذا كان يمكن لبني أُميّة أن يبرروه أمام البسطاء والعامة والمغفلين - تحت شعارات الخروج عن الطاعة وشق عصا المسلمين وما أشبه ذلك من الشعارات والعناوين التضليلية - فلا يمكن لبني أُمية بأي حال أن يبرروا سبي بنات رسول الله وذراريه وهتكهم، وتعريض النساء والأطفال لهذه الآلام والمحن والعذابات.

ولعل هذا الموضوع كان من أبرز وأوضح الشواهد على ضلال يزيد وانحرافه في نظر الأمة وعامة الناس.

وهنا يمكن أن نفهم قول الإمام الحسين عليه السلام - حين سأله - محمد بن الحنفية عن سبب خروجه واصطحابه للنساء -: **«قد شاء الله تعالى أن يراهن سبايا»**[1].

البعد الوجداني في ثورة الحسين عليه السلام

اذا أردنا ان نطالع البعد الرابع الذي هو البعد الوجداني نجد أنّ هذا البعد

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص:١٦٧ عن البحار.

يكاد يطغى على كل الأبعاد الأخرى في هذه الملحمة التأريخية، فان من أبرز الأبعاد في قضية الإمام الحسين عليه السلام هو البعد العاطفي والوجداني، هذا البعد الذي يستدر دموع الأصدقاء والأعداء، بل حتى اولئك الذين كانوا يقاتلون الحسين يوم العاشر من محرم ويشهرون سيوفهم عليه، كانوا لا يملكون دموعهم، وكانوا يبكون لمأساة الحسين عليه السلام ولبذله وتضحيته وصبره.

فالحسين عليه السلام بذل أصحابه وأهل بيته الميامين وفيهم الشيوخ والكهول والشباب والغلمان، كما بذل نفسه ثم بذل أولاده وحتى الأطفال من هؤلاء الأولاد، وبذل عيالاته وبطريقة مثيرة للغاية.

الإنسان قد يبذل نفسه ويبذل الرجال القادرين ولكن عندما يصل البذل الى الأطفال قد يتردد ويحجم، أو عندما يصل البذل الى العيال والنساء قد يتردد ويحجم، أمّا الحسين فقد بذل كل وجوده، كل ما لديه في سبيل الإسلام ومفاهيم ومبادئ هذه الثورة وقضاياها، بحيث أثار المشاعر والعواطف ليس على مستوى بلده أو عصره فحسب، بل على مستوى العصور والدهور.

لأن هذا البذل كان متصفاً بالمظلومية من ناحية والوحشية من ناحية اخرى وأفضل شاهد على هذه الحقيقة هو التراث الأدبي والفني الواسع الذي عبّرت فيه الأجيال عن تفاعلها مع هذه المأساة، ولا زال هذا البعد -كما تشاهدون - يؤثّر في المسلمين وحتى في غير المتدينين منهم، بل حتى اولئك الذين يرتّدون على الحسين ومفاهيم الحسين يؤثر فيهم هذا البعد الوجداني، بل حتى الكثير من الكفار الذين لا يؤمنون بالاسلام يؤثر فيهم هذا البعد الوجداني من قضية الحسين عليه السلام، وحيث يوضح هذا الجانب الحقيقة

والحقّ الذي كان يلتزم به الحسين ﷺ، بالاضافة الى اثارة الفطرة الإنسانية النقية في نفوس الناس.

البعد الجماهيري في تحرك الحسين ﷺ

والبعد الخامس الذي هو البعد الجماهيري نجده موجوداً أيضاً في حركة الحسين ﷺ.

نحن في الحقيقة عندما نريد أن نتأمّل في ثورة الحسين ﷺ نجد أنّ الحسين لم يقم بهذه الثورة إلّا بعد أن تأكّد من وجود القاعدة الجماهيرية لهذه الثورة. فلم تكن ثورة الحسين ﷺ معزولة عن الجماهير.

طبعاً هناك قرائن كثيرة على هذه الحقيقة ومن جملة هذه القرائن، هي مسألة الرسائل والكتب التي كتبها أهل الكوفة للحسين ﷺ، فبالرغم من أنّ بعض الباحثين يحاول اضفاء طابع النفاق على هذه الكتب، وافتراض أنّ أهل الكوفة عندما كتبوا هذه الرسائل كانوا قد كتبوها تضليلاً للحسين ﷺ ونفاقاً، وأنهم لم يكونوا يستشعرون حقيقة الآلام التي بثوها في هذه الكتب، ولكن الحقيقة تؤكد أنّ هذه الكتب - بشكل عام - كانت تعبر عن واقع موضوعي قائم في المجتمع الاسلامي كلّه، ومشاعر حقيقية لأهل الكوفة ولكل المسلمين، بادر اليه أهل الكوفة قبل غيرهم وعبّروا عنه في كتبهم، ولكنهم غلبوا على أمرهم بسبب الارهاب والخوف من الفشل وغيرهما من الأسباب التي سوف نتناولها في موضع آخر.

إذن فهذه الكتب كانت تمثل بعداً جماهيرياً وأنّ أهل الكوفة كانوا

يحسون بالآلام وكانوا يشعرون بالظلم ويشعرون بالذلّ، ويرون أنّ الحسين عليه السلام هو الأمل في انقاذهم من هذا الوضع المأساوي المشين والفساد العام، ولذلك كتبوا وأخذوا يلحون على الحسين، وأكدوا ذلك ببيعتهم لمسلم ابن عقيل عليه السلام.

وأفضل شاهد على هذه الحقيقة، هو أنّ عبيد الله بن زياد لم يتمكن أن يقف أمام هذا التيار الجماهيري الواسع إلاّ من خلال عمليات القتل والقمع الواسعة واعتقال الآلاف من الوجهاء والرؤساء أمثال المختار الثقفي، وسليمان بن صرد الخزاعي، والاصبغ بن نباتة، والحارث الهمداني، حيث زجّهم في الزنزانات والسجون.

وكذلك استخدام أساليب الارهاب والتخويف والتهديد بجيش الشام.

وأسلوب الاغراء وبذل الأموال واعطاء الوعود.

ولعلّ الطريقة التي تمّ فيها تنفيذ قتل هاني بن عروة، ومسلم بن عقيل، ورسول الحسين بعد هما ممّا يؤكّد ذلك أيضاً.

والأحداث التأريخية التي شهدتها الكوفة بعد ذلك تؤكد هذا الواقع أيضاً. فالثورات التي انبثقت بعد قضية الحيسن عليه السلام كانت أكثرها تنطلق من الكوفة، وتنطلق من أولئك الذين بثوا الحسين آلامهم ومعاناتهم والانتقام من قتلة الحسين نفذّه أهل الكوفة،كما أن اكثر أصحاب الحسين الذين قتلوا معه كانوا من أهل الكوفة. وهذا الجانب كان يعطي امتيازاً ايجابياً وجوهرياً للأوضاع السياسية في الكوفة وأهلها المبادرون.

كما أنّ الحسين عليه السلام كان يشعر أيضاً انّ هناك جماهيراً واسعة في العالم

الإسلامي تتفاعل بمستوى آخر مع قضيته وأنها ليست معزولة عن موقف جماهير أهل الكوفة، إلّا أنها لم تكن تملك القدرة على التعبير عن موقفها بشكل مناسب كما فعل أهل الكوفة، لوجود العلاقات السياسية والدينية والشخصية القوية بينهم وبين الحسين ﷺ.

نعم، كان هذا التفاعل عاماً على مستوى المفاهيم والشعارات والولاء السياسي والادراك للحقائق، أما على مستوى الاستعداد للتضحية والفداء والصبر ومواصلة الطريق حتى نهايته والصمود أمام أساليب القمع والارهاب، فهذا شيء آخر سوف نبحثه ونشير اليه في الفصل الآتي.

ويؤكد ذلك، أننا نلاحظ أنّ أهل الكوفة الذين كتبوا هذه الرسائل بايعوا - بعد ذلك - مسلم بن عقيل ﷺ عندما أرسله الحسين ﷺ اليهم وبأعداد كبيرة، حيث بايعه ثمانية عشر ألف رجل في أقل الروايات، فلم يشترك في هذه البيعة الأطفال أوالنساء أوالعجزة، بل أخذ البيعة من أولئك الذين هم على استعداد للقتال من أجل الحسين ﷺ.

وهؤلاء اذا لم نقل انهم جميعاً كانوا يتفاعلون مع ثورة الحسين ويتحسسون بآلام الحسين وعلى استعداد للقتال والدفاع عنه عند أخذ البيعة، فعلى الأقل كانت أغلبيتهم كذلك، وتعرّض - بعد ذلك - عدد كبير منهم للاعتقال والقمع، ووقف قسم كبير منهم الى جانب مسلم في حركته المفاجئة وخرج للقتال ومحاصرة القصر الأموي بعد مقتل هاني بن عروة[١].

ويؤكد ذلك أيضاً التقييم الرائع الذي قدمه الفرزدق عند لقائه بالامام

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٠٧.

الحسين ﷺ في الطريق حيث يسأله عن وضع الكوفة بعد مقتل مسلم بن عقيل. فيقول للحسين: «انّ أهل الكوفة قلوبهم معك وسيوفهم عليك»، اذن فهذه القلوب التي هي مع الحسين كانت تتفاعل مع القضية وكانت تتحسّس مع أبعادها.

وفي البصرة، كانت هناك شواهد تؤكد على أنّ الحسين ﷺ كانت له قاعدة شعبية أيضاً، وكان له رصيد وكانت له جماهير، هذه الجماهير ليست جماهير تقدّسه كابن بنت رسول الله فحسب، وانّما كانت تتفاعل مع قضيته، تتفاعل مع ثورته وكانت تبرز استعدادها للبذل والعطاء، ويشهد بذلك القصة المذكورة عن يزيد بن مسعود التميمي الذي كان أحد شيوخ بني تميم.[1]

---

(١) يروي القصة بتفاصيلها العلّامة المقرم في مقتل الحسين ﷺ عن الطبري وابن الأثير ومثير الأحزان / ص١٤٣-١٤٤ «جمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وقال: ان معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وانه قد انكسر باب الجور والاثم وتضعضعت أركان الظلم، وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد والله ففشل وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير رضى منهم، مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطأ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله ﷺ، ذوالشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته. يعطف على الصغير ويحسن الى الكبير، فأكرم به راعي رعية وامام قوم وجبت لله به الحجة وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها بخروجكم الى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله لا يقصر أحدكم عن نصرته الا أورثه الله تعالى الذل في ولده والقلة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها وادرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب!

فقالت بنو حنظلة: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك، ان رميت بنا أصبت وان غزوت بنا

←

ويدلل أيضاً على هذا البعد الجماهيري اقبال الناس على الحسين عليه السلام في مكة بعد معرفتهم بأنه انسان ثائر رافض للحكم الأموي ولسلطان يزيد الطاغية، وجاء الى مكة معلناً هذا الرفض، وقد اجتمعت جماهير كبيرة من المسلمين على الحسين، حتى تمنّى عبدالله بن الزبير أن يخرج الحسين من مكة ليصفو له الجو في مكة ويكون هو الإنسان البارز فيها، باعتبار أنّ أهل مكة أقبلوا على الحسين وعلى اطروحته وشعاراته(١).

كما يؤكد هذه الحقيقة أيضاً أنّ الحسين لم يكن وحده هو الذي رفض

← فتحت، لا تخوض والله غمرة الا خضناها، ولا تلقى والله شدة الا لقيناها، تنصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا اذا شئت.

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى ان غضبت ولا نبقى ان ظعنت، والأمر اليك فادعنا اذا شئت.

وقالت بنو سعد بن زيد: أبا خالد ان أبغض الأشياء الينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل فحمدنا ما أمرنا وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا.

فقال لهم: لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً ولا زال سيفكم فيكم.

ثم كتب الى الحسين عليه السلام: أمّا بعد فقد وصل اليّ كتابك وفهمت ما ندبتني اليه ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك وان الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الابل الظماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع.

فلما قرأ الحسين عليه السلام كتابه قال: مالك، آمنك الله من الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر.

ولما تجهز ابن مسعود الى المسير بلغه قتل الحسين عليه السلام فاشتد جزعه وكثر أسفه لفوات الأمنية من السعادة بالشهادة.

(١) الكامل لابن الأثير: ج ٤ / ص ١٦.

بيعة يزيد، وانما رفض ذلك معه كبار الصحابة والتابعين، وان لم يكونوا قادرين على أن يتجاوزوا الموقف المتردد العام للأُمّة ويلتحقوا بطريق الحسين ومنهجه في هذا الرفض.

وهناك دلائل كثيرة اخرى تدلّ على وجود هذه القاعدة الجماهيرية في تحرّك الحسين عليه السلام.

وبذلك يمكن أن نعرف أنّ الشروط الأساسية العامة لنجاح الثورة كانت متوفرة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وبهذا نعرف - أيضاً - أنّ الحسين عليه السلام وأصحابه ليسوا هم الذين يتحملون مسؤولية عدم الوصول الى هدف الاطاحة بنظام يزيد واقامة حكم الإسلام، وانما تتحمل ذلك الأُمة نفسها لأسباب كان يريد الإمام الحسين عليه السلام أن يعالجها بنهضته وتضحيته، كما سنعرف ان شاء الله.



ثورة الحسين عليه السلام وتحقيق الأهداف

لقد كان الحسين عليه السلام يتحرك على خطين رئيسيين وباتجاه هدفين متوازيين ومتفاعلين:

أحدهما: الخط الظاهري المعلن: الذي كان يبدو فيه الإمام الحسين عليه السلام يجاهد من أجل الاطاحة بنظام الطاغية يزيد، هذا الواجب والهدف الشرعي الذي يجب على كل انسان مسلم أن يسعى اليه ويجاهد من أجله.

ويتحمل مسؤوليته من خلال مطالبة الأُمة له بالنهوض والقيام في وجه يزيد ومبايعتها له.

وكان يخطط بكل وجودة من أجل تحقيقه ويوفر كل الشروط الموضوعية التي يتحملها القائد في هذا المجال.

ولكنه في نفس الوقت،كان يعرف أنه لا يصل الى هذا الهدف من خلال علمه الواسع، ولمعرفته بأوضاع الأمة النفسية والاجتماعية والعسكرية. وحينئذ تكون الوظيفة الشرعية هي تثبيت الموقف الشرعي تجاه هذه الظاهرة الخطيرة في الأمة، وهي ظاهرة الحكم المنحرف الذي كان يمثله يزيد.

وثانيهما: الخط الواقعي، والذي كان يستهدف من خلاله تحقيق اصلاح الأمة ومعالجة أمراضها التي أدت بها الى هذه النهاية، وبالتالي معالجة الأبعاد السابقة التي أشرنا اليها من هز ضمير الأُمة ووجدانها وتحرير ارادتها والمحافظة على الإسلام والأمة الإسلامية، وقد تحققت هذه الأبعاد من حركة الحسين عليه السلام من خلال توفير الشروط السابقة.

وشهدت الأمة تغيراً حقيقياً في وجودها، لم يكن من الممكن أن يتحقق لو لا توفر هذه الشروط.

إذن، فالحسين عليه السلام قد أعلن عن هدف مشروع، وهو تخليص الأمة من حكم يزيد وخطط له وكان التحرك من أجل هذا الهدف واجباً شرعياً، وان كان يعرف أنّ هذا الهدف سوف لا يتحقق في الخارج، ولكن السعي لتحقيق هذا الهدف المعلن المشروع كانت له آثار مهمة في مواجهة هذه الظاهرة (ظاهرة حكم يزيد) وموقف المسلمين منها مستقبلاً. وبالتالي تحجيم هذه الظاهرة في الأُمة وتوعية الأمة تجاهها.

كما أن هذا السعي لتحقيق هذا الهدف كان من أجل تحقيق أهداف واقعية مهمة ومصيرية تبرّر كل هذه التضحيات والجهود، وهذا ما سوف نعرفه في المحاضرة التالية ان شاء الله.



الفَصلُ الثَّالِثُ

ثورة الحسين

دور الضّمير والإرادة في الثورة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين أبي القاسم محمّد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام عليك يا أبا عبدالله السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك وعلى أهل بيتك الميامين السلام عليك وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتكم.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

السلام عليكم أيها الإخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

حديث الأمس

في هذه الليلة المباركة، ليلة العاشر من المحرم، ليلة مأساة كربلاء، يحسن بنا أولاً: أن نتحدث عن ثورة الحسين عليه السلام.

وثانياً: أن نستفيد من هذا الحديث في تقييم أوضاعنا المعاشة، وقد تحدثنا في سنين سابقة عن ثورة الحسين عليه السلام وعرفنا:

١- التفسير الصحيح لها ومبرراتها الشرعية والأخلاقية، وأنها كانت من أجل تشخيص الموقف الشرعي وتحويله الى موقف عملي، وهزّ ضمير الأُمة

وتحرير إرادتها والمحافظة على وجودها.

٢- تحقيق الأهداف المرسومة لها.

٣- إنّها استجمعت كل الشروط التي لابد لكل ثورة ناجحة من أن تتّصف بها.

فثورة الحسين عليه السلام كانت تستجمع الأبعاد الخمسة الضرورية لكل ثورة يراد لها أن تحقق الأهداف وبشكل ناجح، وهذه الأبعاد هي:

١- البعد الرباني، لأنّها ثورة مرتبطة بالله.

٢- البعد الانساني، لأنها طرحت أهم القضايا التي ترتبط بضمير ووجدان الإنسان، مثل قضية الظلم والاستغلال والعزة والكرامة الإنسانية.

٣- البعد العقلي، لأنّ تحرّك الحسين عليه السلام كان عن تخطيط مسبق، بالإضافة الى التخطيط لكل خطوة يخطوها أثناء التحرك.

٤- البعد العاطفي والوجداني، وذلك من خلال المأساة التي صنعها الحسين عليه السلام في كربلاء، والتي لازالت تعيش في ضمير مئات الملايين من الناس المسلمين وغيرهم.

٥- البعد الجماهيري، فقد اعتمدت الثورة على التحرك الجماهيري، ولم تعتمد على تحرك النخبة الصالحة فحسب، وان كان الذين استشهدوا معه كانوا نخبة صالحة من أفضل من عرفتهم الأرض على وجهها، ولكن لم يكن تحركه مقتصراً على هذه النخبة الصالحة، بل كان له أبعاد جماهيرية واسعة، على ما تحدثنا بذلك بشكل مفصّل في الأحاديث السابقة.

تمهيد

لماذا لم تسقط ثورة الحسين عليه السلام حكم يزيد؟

نحن هنا هذا اليوم أمام سؤال، وهذا السؤال كان مطروحاً في زمن الحسين عليه السلام ولازال، وهو لماذا لم تتمكن ثورة الحسين عليه السلام من أن تحقق هدف الاطاحة بحكم يزيد، على الرغم من أنها كانت تستجمع الشروط التي لابد لكل ثورة ناجحة أن تستجمعها؟

وعندما نصل الى هذه المرحلة من البحث نحتاج الى أن ننتقل الى مرحلة أُخرى من الحديث، وهي أن نعالج هذه الخصوصية الرئيسية، وهي مسؤولية الأمة تجاه تحقيق هدف الاطاحة بحكم يزيد بن معاوية.

فنحن نعتقد بأن الذي يتحمل المسؤولية في ذلك انما هو الأمة في زمان الحسين عليه السلام، وإلاّ فان الحسين -كما عرفنا- كان قد وفّر كل الشروط الموضوعية التي يجب أن تتوفّر في هذه الحركة، كما أنّ الأوضاع السياسية كانت مواتية لتحقيق ذلك، كما سوف نشير إليه في حديث آخر ان شاء الله(١).

وانّما الخلل الأساس كان في الأوضاع الروحية والنفسية للأُمّة:

وهذا هو ما أراد أن يعالجه الإمام الحسين عليه السلام في نهضته، وهو ما نريد أن نوضّحه في هذا الحديث.

---

(١) هناك محاضرة مستقلة تناولت هذا الموضوع.

موت الضمير وفقدان الإرادة

إن الأُمة الإسلامية كانت قد أصيبت بمجموعة من الأمراض، يمكن أن نجمعها في خصوصيتين:

الأُولى: هي موت الضمير.

والثانية: فقدان الإرادة.

وعندما يموت ضمير الأمة وتفقد إرادتها لا يمكن لهذه الأمة أن تتحرك بشكل صحيح أو قوي، أو تصل الى أهدافها وغاياتها.

الأُمة في زمن الإمام الحسين عليه السلام أصيبت بهذين المرضين الخطيرين، ومن أجل أستيعاب البحث لابد أن نتناول النقاط التالية:

١- دور الضمير والإرادة في حياة الأمة

النقطة الاولى: أن نبحث بشكل مختصر عن دور الضمير والإرادة في حياة الأُمة، فما هو معنى الضمير؟ وما هو دوره في حياة الأُمة؟ ثم بعد ذلك ما هو معنى الإرادة، وما هو دورها في حياة الأمة؟

٢- أسباب موت الضمير وفقدان الإرادة

والنقطة الثانية: التي نحن بحاجة إليها هو البحث عن الأسباب الاجتماعية والأخلاقية التي تؤدي الى إبتلاء الأُمة بهذين المرضين الخطيرين، وهما: موت الضمير، وفقدان الإرادة.

٣- المظاهر الاجتماعية لموت الضمير

والنقطة الثالثة: وهي المظاهر الاجتماعية التي تعبّر عن وجود هذا المرض الخطير والتي كانت تتصف بها الأمة في ذلك العصر.

ونحن إذا تمكنا أن نشخص هذه الأسباب والمظاهر فسوف نستفيد من قضية الإمام الحسين عليه السلام في فهم وفحص حياتنا العملية، فانّ أُمتنا الإسلامية بشكل عام وفي العراق بشكل خاص قد ابتلت الى حدّ ما بهذا المرض وإن بدأت تتغلب عليه تدريجياً، بسبب التضحيات الكبيرة والوعي للحقائق والمحن التي أصابتها.

٤- دور حركة الحسين عليه السلام في ايقاظ ضمير الأمة

والنقطة الرابعة: التي نحن بحاجة إليها هو بيان دور حركة الإمام الحسين عليه السلام في إيقاظ ضمير الأُمة، وفي تحرير إرادتها، وما هو دوره في معالجة هذين المرضين الخطيرين اللذين كانا سبباً في عجز الأُمة عن الوصول الى هدفها في الإطاحة بنظام يزيد وإقامة الحكم الإسلامي العادل، وإذا عرفنا دور الحسين عليه السلام فنحن أبناء الحسين وشيعته والوارثون له، لابد لنا أن نستفيد من هذا الدرس ونقوم بنفس هذا الدور لمالجة هذه الأوضاع الخطرة التي تعيشها الأُمة الإسلامية[1].

---

(١) وقد سبقنا الى القيام بدور الحسين عليه السلام عالمان عظيمان احدهما استجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه ←

هذه هي النقاط الأربع التي نحن بحاجة الى معالجتها في هذا البحث، وهو بحث يمس حياتنا الحاضرة بشكل مباشر، كما سوف أشير الى ذلك.

القرآن وموت الضمير وفقدان الإرادة

وهنا يحسن بنا أن نذكر آيتين من القرآن الكريم، كل منهما تشير الى قضية ترتبط بهذا الموضوع، احداهما: تشير الى (موت الضمير)، والأخرى: تشير الى (فقدان الإرادة)، وكلتا الآيتين في سورة النحل وفي موضع واحد، وهذا من لطائف القرآن الكريم، إذ انه قرن هذين الأمرين أحدهما بالآخر، أعني قضية موت الضمير وقضية موت الإرادة.

الآية الأولى والمتعلّقة بموت الضمير:

﴿**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم**﴾[1].

وهذا هو أحد الرجلين، رجل أبكم لايمكن أن يتحدث، ولا يتفاعل مع أي شيء من الأشياء، ونهايته أن يعيش كلاً على سيده وعلى مولاه، فهو أبكم معلّق لا يتحسس بشيء ولا ينفع شيء ولا يهتدي الى شيء، ولا يتمكن أن

← ولدعاء أمته واستجابت له أمته وهو الإمام الخميني هذا الإنسان الذي يمارس في هذا العصر دور الحسين عليه السلام على مستوى العالم الإسلامي وهذه الأمة الكريمة المعطاء تمارس دور أصحاب الحسين بالبذل والعطاء لأن ضميرها حي وإرادتها محررة.

وكان الشخص الثاني الذي قام بهذا الدور هو سيدنا وشهيدنا آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر ابن الحسين الذي فيه الكثير من معالم سيد الشهداء عليه السلام، عندما ضحى بنفسه وأصحابه من أجل تشخيص الموقف الشرعي العملي وإيقاظ ضمير الأمة في العراق فكان له الأثر العظيم في ذلك.

(١) النحل: ٧٦.

يقوم بأي عمل صالح في أي مجال، وهذا هو معناه موت الضمير وفقدان هداية التمييز بين الحسن والقبح، ويأتي ذلك بالمقارنة مع الشخص الآخر، الذي له ضمير حي وقلب حساس، فيقول القرآن فيه:

﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾.

إذاً فالشخص الآخر لديه ضمير حي يجعله قادراً على أن يميّز بين الحسن والقبيح، والعدل والظلم، والخير والشر، والإساءة والإحسان، وبالتالي يجعله يأمر بالعدل والإحسان ويوجّهه ويهديه لأن يسير على الصراط المستقيم.

والآية الثانية التي تتحدّث عن موت الإرادة، قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فالمثل الثاني يفترض نوعين من الناس، العبد المسلوب الإرادة فهو تابع لغيره ومملوكاً له، كل ذلك باعتبار فقدان الإرادة، والإنسان الذي يتصرّف في رزق الله بارادته في كل الأحوال والظروف التي يعبّر عنها القرآن بحالتي السرّ والجهر.

(١) النحل: ٧٥.

أولاً: الضمير والإرادة

أ - الضمير ودوره

للتكلم عن دور الضمير لابدّ لنا أن نعرف ما هو الضمير؟

إنّ كلمة الضمير تتكرر كثيراً في أحاديثنا الاجتماعية والسياسية، فيقال أنّ فلان عنده ضمير، وفلان ليس لديه ضمير، وفلان مات ضميره، وفلان له ضمير حي وواع، فما هو الضمير؟

الضمير: هو الوجدان أو ذلك الشيء الذي يتحدث عنه القرآن الكريم كثيراً ويسمّيه (القلب). والقرآن الكريم يتحدث عن القلب في آيات ومجالات كثيرة، فهو ينسب الى القلب أو يصفه بالعمى والمرض والتشتت والرعب والاثم والريب والرين والقسوة واللهو، وغير ذلك من صفات السوء والمرض، كما ينسب اليه أو يصفه بالفقه والتقوى والاطمئنان والثبات والإيمان والطهارة والرأفة والرقّة والخشوع والهداية، الى غير ذلك من صفات الصحة والحسن والكمال.

ويربط القرآن الكريم مصير الإنسان وحياته الذاتية والاجتماعية والدنيوية والأُخروية بحركة هذا القلب والأوضاع والحالات التي يعيشها أو يتصف بها، وذلك في عشرات من الآيات الكريمة.

ويشير الى أدوار مختلفة ومتعددة تمر بها حركة القلب، وتتأثر حياة

الإنسان صعوداً ونزولاً بهذه الأدوار[(١)].

ولا يبعد أن يكون المراد من القلب (الضمير) الجانب الروحي الذي خلقه الله تعالى في الإنسان والذي تتمركز فيه مجموعة الصفات والأفعال الداخلية والتي تتأثر بالارادة والاختيار، صعوداً ونزولاً وتكاملاً وتسافلاً، والتي تكون قابلة للتطور والنمو والتربية، حيث خلق الله سبحانه وتعالى في الإنسان اتجاهاً طبيعياً نحو الإيمان به إدراك حسن الكمالات كالخير، والعدل، والإحسان، ولكنّ هذا الاتجاه قابل للتغير والاختلاف والانحراف أوالتكامل بسبب الأفعال الإرادية التي يقوم بها هذا الإنسان، أوالمؤثرات الخارجية.

وهذا هو ما يمكن أن نطلق عليه الفطرة الإنسانية، التي تكون قابلة للتغير والاختلاف والتطوّر.

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله...﴾[(٢)].

قال الصادق عليه السلام: **«ما من مولود يولد إلّا على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه»**[(٣)].

كما أن هذا الاتجاه يسميه الحكماء والفلاسفة بالعقل العملي، حيث يقسّمون العقل والادراك الى قسمين، هما:

---

(١) تناولنا هذا البحث في تفسير القران الكريم في قوله تعالى من سورة البقرة:(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) وكذلك في قوله تعالى من سورة المنافقين:(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون).

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) الوسائل: ج ١١، ص٩٦.

أ - **العقل النظري**: وهو عبارة عن الخصوصية التي أودعها الله تعالى في الإنسان، والتي تمكنه من إدراك حقائق الأشياء الثابتة في الواقع الموضوعي الخارجي سواء كانت مادية أو غيبية، أي هذا الشيء الذي يستطيع الإنسان من خلاله إدراك حقيقة وجود الله (سبحانه وتعالى)، ويدرك وجود (الإنسان) على الأرض، ويدرك فيه النظام الكوني وعلاقات الأسباب بعضها بالبعض الآخر، وكذلك معالم هذا الكون والحياة وكيف يسيّر حياته عليها.

ب - **العقل العملي**: وهو قسم آخر من العقل، ويعبّر عن تلك الإدراكات والتوجهات التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في هذا الإنسان وأودعها فيه، وجعلها هادية له في مسيرة حياته، بحيث يتمكن هذا الإنسان من خلال تلك المدركات والتوجهات أن يميّز بين الحسن والقبيح، وما يحسن به أن يفعله ويعمله، وما لا يحسن ويقبح له أن يقوم به.

مثلاً، إدراك الإنسان لقبح الظلم يعتبر إدراكاً من العقل العملي، فالله سبحانه وتعالى أودع في ضمير الإنسان حالة وجدانية معيّنة يمكن أن يميّز من خلالها بين نوعين من (الضرب)، مثلاً:

١- ضرب اليتيم من قبل وليه لتأديبه وتعليمه وهدايته.

٢- ضرب اليتيم نفسه للانتقام منه والتشفي وفرض السيطرة عليه واخضاعه.

فالأول: يكون حسناً بادراك الإنسان العاقل، والثاني: يكون قبيحاً.

وبنفس هذا الإدراك يستنكر الإنسان (الخيانة)، ويستحسن (الأمانة)، بغض النظر عن الشريعة وأحكامها، أي حتى أولئك الذين لا يلتزمون

بشريعة أو حكم شرعي، نجد في وجدانهم هذا الفرض للظلم والخيانة.

فمركز هذه المشاعر والأحاسيس التي أودعها الله في فطرة الإنسان تسمّي بـ (الضمير)، ولكن هذا الضمير الذي خلقه الله عند الإنسان موجّهاً له لفعل الخير وإدراك الحقائق قد يموت ويصاب بالقسوة والعمى.

إذاً فدور الضمير في حياة الإنسان، هو دور الهادي والمحرّك أو الطاقة التي تدفع الإنسان بالاتجاه الصحيح، ودوره دور الاحساس والشعور بالمسؤولية والتفاعل مع الأحداث من خلال الحقّ والعدل والانصاف، وعندما يموت هذا الضمير، أي عندما يفقد المحرّك الذي يحرّك أويوجّه الإنسان بالاتجاه الصحيح، يصبح هذا الإنسان في حياته شأنه شأن السفينة في مهب الرياح، أوفي وسط البحر المتلاطم الخضم، دون أن يكون لها محرّك أوشراع يوجهها بالاتجاه المطلوب، بل قد يتحوّل هذا الضمير عندما يموت ويقسو أو يمرض الى أداة توجيه مضاد، وتخضع حياة الإنسان حينئذٍ الى الغرائز والشهوات والانفعالا الآنية.

ب - الإرادة ودورها

وأما دور الإرادة: فاننا نتساءل، ما هو دور الإرادة؟

في الحقيقة: أن دور الإرادة في حياة الإنسان تمثل اختيار الإنسان للافعال والسولك، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مريداً أو مختاراً، وميّزه بذلك على الكثير من المخلوقات التي تتحرّك بمقتضى النظام الكوني القاهر الذي لا يمكنها أن تحيد عنه أو تخرج عليه، فالشمس والقمر

والأرض والكواكب تتحرك بموجب هذه القوانين الفيزيائية والفلكية التي تحكم حركتها.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

أما الإنسان فقد خلقه الله تعالى مريداً أو مختاراً، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٢).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾(٣).

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٤).

﴿وقل الحقّ من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

والى جانب هذه الإرادة زوّد الله تعالى الإنسان بالعقل، وفطره على الإيمان بالله والخير والصلاح، وأرسل اليه الأنبياء وأنزل الكتب والرسالات من أجل أن يدلّ هذا الإنسان ويهديه الطريق المستقيم ويحذّره من الضلال والانحراف والفساد.

إذن، فالإرادة: هي تلك الصفة والقوة التي أودعها الله في الإنسان والتي يتمكن من خلالها الفعل واختيار السلوك والمنهج في هذه الحياة الدنيا، فهي

---

(١) يس: ٣٧-٤٠.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) البلد: ١٠ ـ ١٢.

(٤) الإنسان: ٢٩ ـ ٣١.

علّة هذه الأفعال وسببها الذي ينسب اليه الفعل.

ومن الواضح أنّ إرادة الإنسان هذه واختياره ليست مطلقة، وانما هي خاضعة شأنها في ذلك شأن جميع الموجودات للارادة الإلٰهية، فهي منحة إلٰهية جاءت وفق المشيئة والحكمة والرحمة الالهية التي شملت كل الموجودات، والله قادر على أن يسلبها الإنسان إذا شاء ذلك، فقدرة الإنسان على اعمالها والاستفادة منها بمشيئة الله تعالى وإذنه: **﴿وما تشاؤون إلّا أن يشاءالله﴾**.

والإرادة هذه، صفة وقوة إنسانية شأنها شأن القوى الأخرى التي أودعها الله في الإنسان، قابلة للشدة والقوة، والرخاوة والضعف، فقد تنمو وتتطور، وقد تضمر وتتراجع، وذلك من خلال التربية والعنايد والتوفيق الإلٰهي، أومن خلال المؤثرات النفسية والروحية الداخلية والضغوط والأوضاع والحياة الاجتماعية الخارجية التي يعيشها الإنسان.

وفي كل الأحوال، يبقى الإنسان مسؤولاً عن فعله ومحاسباً من الله تعالى ومن العقلاء والمجتمع الإنساني، ما لم يفقد عقله أويفقد اختياره بسبب القهر الخارجي المادي.

وأما عندما يفقد إرادته بسبب ضعفها وتعرضها للضغوط النفسية الداخلية والخارجية -كما سوف نوضح - فانه على أي حال يكون مختاراً ويكون قادراً على أن يأتي بالفعل أو لا يأتي به (يفعل أو لا يفعل).

وعندما يخضع الإنسان إرادته للعقل والهدي الإلٰهي، وتنسجم مع متطلبات الفطرة الإنسانية والضمير والوجدان البشري، يسير الإنسان في

طريق الحقّ والصراط المستقيم، وأمّا عندما يخضع إرادته للشهوات والغرائز والانفعالات النفسية من الغضب أو الغرور أو التعصّب، وتتحوّل إرادته الى مجرّد أسير لها، فسوف يكون مسار الإنسان الى الهاوية والسقوط والضلال والانحراف، وينتهي به الأمر الى التسافل والنيران والغضب الإلٰهي.

إن الإرادة الإنسانية هي التي تكون قادرة على المحافظة على الموازنة والتوفيق بين طريق الهدى والصلاح، والاستفادة من الطيبات وما زيّن الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان ممّا أباحه له.

وهي التي تمنعه ممن السقوط في مستنقع الشهوات والغرائز أو ما يعبّر عنه القرآن بـ(الهوى).

وكلّما كانت الإرادة قوية وحرّة، كلّما كان قادراً على صعود مدارج الكمال والرقي في طريق التكامل، وكلّما كانت ضعيفة وأسيرة ومسلوبة ومغلولة كانت نهاية الإنسان سوداء وسيئة.

فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: **«انّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمَن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»**(١).

طبعاً هذا كله على المستوى الفردي في مسيرة الإنسان، وتترتّب عليه النتائج على مستوى الفرد والذات.

وأمّا على المستوى الاجتماعي، فالمسألة لها قوانينها وسننها الاجتماعية التي تتحكم في مسيرة الإنسان، حيث يكون حال الجماعة بأوضاعها العامة

---

(١) الوسائل: ج ١١، ص ١٦٤.

وارادتها وضميرها ووجدآنهاوعقلها الجماعي هو المؤثر في هذه المسيرة مع قطع النظر عن تفاصيل الأفراد.

فالأساس، هو الموقف الجماعي العام، والنتائج تترتّب على أساس هذا الموقف حتى لو كان في الجماعة أفراد آخرون في أعلى مستويات الوعي والمعرفة وقوة الإرادة. فمادام الضمير العام للجماعة مريضاً والإرادة العامة للجماعة ضعيفة، فان النتائج تترتب على هذا الموقف العام.

﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أنّ الله شديد العقاب﴾.

وبهذا التفسير نجد التكامل بين دور الضمير والقلب والإرادة، فانّ الضمير والقلب عندما يكون صحيحاً ويقظاً وحياً وخاشعاً لله تعالى، ويتفاعل مع مشاعر الرحمة والرأفة والألفة والشعور بالمسؤولية تجاه الله تعالى والجماعة، فان ذلك يؤثر على اتجاه فعل الإرادة واختيارها للمواقف والنشاطات، والتزامها بالعهود والمواثيق والحدود الشرعية والأخلاقية.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد، استمكن عدوّه من عنقه»(١).

وكذلك عندما تكون الإرادة قوية وحرة ومتكاملة لا تخضع للضغوط والمؤثرات النفسية الداخلية، كالغرائز والشهوات، أوالخارجية كالأوضاع الاجتماعية والسياسية، كالخوف والجهل واليأس والاغراء، فانه بطبيعة الحال سوف تختار الأفضل وما يفرضه منطق العقل والفطرة الإنسانية.

---

(١) الوسائل: ج ١١، ص ١٢٣.

وقد أكّد القرآن الكريم والحديث الشريف على هذا الدور العظيم للارادة من خلال التأكيد على العوامل المؤثرة في تنميتها وتقويتها وتطويرها، كالصبر، والصلاة، والجهاد في الله. والوفاء بالعهود والمواثيق، والتزام الحق والعدل، واستخدام العقل في رؤية الأشياء، والنظر الى الحقائق الكونية نظرة شمولية تستوعب الدنيا والآخرة، وفهم الموازنة الصحيحة بينهما ودورهما في حياة الإنسان، الى غير ذلك من المعارف الإلهية، حيث جاء ذلك في مئات من الآيات القرآنية الكريمة.

﴿ وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(١).

﴿ وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

وفي نفس الوقت نجد الحديث الشريف الذي ورد عن النبي وأهل بيته الكرام، يعطي هذا التقييم الرائع لدور الإرادة في حياة الإنسان، فالإنسان الذي يجرد إرادته من الضغوط النفسية بممارسته لجهاد النفس يكون قد مارس الجهاد الأكبر في حياته، كما ورد ذلك عن رسول الله عندما تحدث عن الجهاد، فيقول لأصحابه عندما بعث سرية، فلمّا رجعوا منها قال: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر**، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟

(١) الحج: ٧٨.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

قال: جهاد النفس»(١) .

ثم تأتي مئات الأحاديث لتشخيص النهج والطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان في هذا الجهاد، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى القتال في سبيل الله الى ترويض النفس في جموحها وشهواتها ونزواتها(٢).

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:«**من ملك نفسه اذا رغب واذا رهب واذا اشتهى واذا غضب واذا رضي، حرّم الله جسده على النار**»(٣).



---

(١) الوسائل: ج١١، ص١٢٢.

(٢) هناك كتاب واسع في كتب الحديث والأخلاق اسمه كتاب جهاد النفس يتضمن تناول هذا الموضوع كما أن هناك كتاباً آخراً بهذا الصدد وهو كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالاضافة الى الأحاديث الأخرى الكثيرة.

(٣) الوسائل: ج١١، ص١٢٣.

ثانياً: أسباب موت الضمير وفقدان الإرادة

ما هي الأسباب التي تؤدي الى ابتلاء الأمة بمرض موت الضمير وفقدان الإرادة، بحيث يصبح هذا الإنسان بموت ضميره وفقدان إرادته إنساناً ضائعاً لا يعرف طريقه في هذه الحياة، أومستلباً مستسلماً للطغيان أو الشهوات؟

هناك أمور كثيرة يشير اليها القرآن الكريم ويعتبرها أسباباً في موت الضمير وفقدان الإرادة وسوف نشير اليها، حيث يمكن تلخيصها في سببين رئيسين لموت الضمير، وعدة أسباب لموت الإرادة.

أ - أسباب موت الضمير

١ - انهيار القاعدة الأخلاقية:

السبب الأوّل من أسباب موت الضمير هو انهيار القاعدة الاخلاقية واختلال موازينها وضوابطها، وفي مقدمة مؤشرات هذا الانهيار (التمرد على الله سبحانه وتعالى)، الذي هو أحد الاسباب الرئيسية التي تؤدي بالإنسان إلى قسوة القلب وموت الضمير، لانّ هذا التمرد يعبر عن نقض العهود والمواثيق التي أخذها الله على الإنسان عند خلقه، ويعبر عن كفران النعمة بدل شكرها، لأن الله هو المنعم المطلق على الإنسان، وكذلك يعبر عن التخلي عن تحمل المسؤولية للاستخلاف حيث جعل الإنسان خليفة له. وخيانة الأمانة التي تحملها الإنسان إلى غير ذلك من المعاني الأخلاقية.

فالإنسان الذي لا ينسجم في سلوكه وتصرفاته مع الأحكام والحدود الشرعية ولا يطّبق حكم الله ولا ينعكس إيمانه بالله تعالى على أعماله والتزاماته يصاب بمرض القلب، وقد ينتهي به الأمر في مسيرة التسافل والتمرد إلى الكفر بالله تعالى، كما هو الحال في المنافقين.

فإن النفاق على درجات كما أن الإيمان على درجات. ويبدأ النفاق من التمرد وعدم الطاعة والالتزام ونقض العهود والمواثيق، وممارسة الظلم والكذب والخديعة والبخل وأكل المال بالباطل، وهتك الحرمات والمتاجرة

بالمقدسات، وعدم الشعور بالمسؤولية واللامبالاة والشعور بالتعب والملل(١).

وإذا لاحظنا حديث القرآن الكريم عن الطبع على القلب وقسوته ومرضه وأسباب ذلك، وكذلك حديث القرآن الكريم عن المنافقين الذين يصفهم مع الكافرين والمتمردين بهذه الأوصاف، نجد أن هذا الحديث يقترن دائماً بموضوع التمرد على الله تعالى في المنافقين، وفي تكذيب آيات الله في الكافرين والمشركين.

فمثلاً عندما يتحدث القرآن الكريم عن مسيرة بني إسرائيل التي انتهت بهم إلى قسوة القلب -كما جاء في أوائل سورة البقرة - يستعرض مجموعة من المخالفات ومظاهر التمرد على الله تعالى، مثل اتخاذهم العجل إلهاً، أو تبديلهم الكلام الذي أمرهم الله أن يقولوه عند دخولهم الباب، أو عدم صبرهم على الطعام الواحد، وقتلهم الأنبياء والعصيان، ونقضهم الميثاق، وعدوانهم في السبت، وموقفهم في قضية البقرة حيث يختم القرآن الكريم هذا الاستعراض بقوله: **﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط**

---

(١) هذه الظواهر والأمراض وأمثالها هي الظواهر الاجتماعية المترتبة على موت الضمير وفقدان الإرادة، والتي لها علاقة بالنقطة الثالثة التي أشرنا إليها في صدر هذا الفصل.

وبحث هذه الظواهر بحث واسع تتناوله الكتب الأخلاقية وكذلك كتب الحديث في جانبيها السلبي السيء - مثل هذه الظواهر - أو الايجابي الحسن والتي تكون نتيجة لحياة الضمير وقوة الإرادة مثل العدل والإحسان والصدق واحترام حقوق المؤمنين والناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والتضحية والإيثار... الخ.

من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون﴾(١)، ثـم يسـتعرض القـرآن الآثـار التـي تترتب على قسوة القلب ومرضه.

وكذلك عندما يتحدث القرآن الكريم عن المنافقين في سورة التوبة ويذكر مظاهر تمردهم وتخلّفهم عن طاعة الله، وما يفرضه الواجب الشرعي والمسؤولية الاجتماعية تجاه حركة الامّة والجماعة، يعقب على ذلك، بـمثل هذه الآيات الكريمة.

﴿إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون....﴾(٢).

﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلىٰ يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾(٣).

﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون﴾(٤).

﴿إنما السبيل علىٰ الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يعلمون﴾(٥).

﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلىٰ رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾(٦).

إلىٰ غير ذلك من الموارد القرآنية الأُخرى.

---

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) التوبة: ٤٥.

(٣) التوبة: ٧٧.

(٤) التوبة: ٨٧.

(٥) التوبة: ٩٣.

(٦) التوبة: ١٢٥.

ولعلّ من أفضل الآيات التي تعبّر عن هذا السبب هو ما جاء في سورة الحديد من قوله تعالى:

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾(١).

ولعلّ سورة الحديد من أروع السور القرآنية التي خصصت تقريباً لمعالجة هذا المرض في المجتمع الإسلامي.

كما أن القرآن الكريم يربط بين حالة الزيغ عن الحدود الشرعية وزيغ القلب وانحرافه، كما جاء في سورة الصف.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٢).

إن هناك قضايا رئيسية وأساسية ترتبط بحركة المجتمع ولها تأثير كبير في موضوع مرض القلب وقسوته، يأتي في طليعتها -كما يظهر من القرآن الكريم- قضية الجهاد في سبيل الله والاستعداد للتضحية بالنفس والمشاركة في القتال.

وكذلك قضية بذل الأموال والانفاق في سبيل الله، حيث يكون التخلف عن ذلك سبباً لمرض القلب.

والقضية الثالثة قضية الطاعة لولي الأمر في الأوامر التي يصدرها لإدارة العملية الاجتماعية والسياسية للجماعة الإسلامية، حيث يفتح التمرّد في هذه

---

(١) الحديد: ١٦.

(٢) الصف: ٥.

المجالات بشكل خاص باب النفاق ومرض القلب ومن ثم قسوته.

ولا شك أن المخالفة تارة تكون حالة طارئة تنشأ من بعض عوامل الضعف الإنساني فتلّم بالإنسان بشكل مؤقت، وبالتالي تستتبعها حالة التوبة والندم والإنابة إلى الله تعالى، فهي لا تدلل على مرض القلب وليس لها هذا الأثر السيء.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وأُخرى تكون المخالفة تعبيراً عن حالة التمّرد والعصيان والإصرار على المعصية واللا مبالاة بها، فهذه هي الحالة الخطيرة التي تنتهي بالإنسان أو الجماعة إلى موت الضمير ومرض القلب وقسوته.

٢ - حب الدنيا

والسبب الآخر لموت الضمير وقسوة القلب ومرضه هو حب الدنيا والانغماس في شهواتها ولّذاتها، والحرض على زخارفها، واللهو بالأموال والأولاد عن ذكر الله والدار الآخرة.

وقد تحدّث القرآن الكريم في موارد كثيرة عن تأثير هذا السبب في مرض القلب وطريقة معالجة ذلك. كما تحدثّت النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال.

---

(١) الأنعام: ٥٤.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ ۞ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾(٣).

ولعلّ في هذا المشهد الذي يتحدث فيه القرآن الكريم عن مصير المنافقين يوم القيامة ما يجسد لنا صورة تأثير حبّ الدنيا في النهاية المأساوية التي تصيب (مرضى القلوب) وما يلاقونه في الدار الآخرة من عذاب.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ

(١) الجاثية: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) محمد: ١٦.

(٣) النحل: ١٠٧ ـ ١٠٨.

وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(١).

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«حبّ الدنيا رأس كل خطيئة»**.

كما ورد عن علي عليه السلام في وصف أثر حبّ الدنيا على قلب الإنسان، قوله: **«ومن لهج قلبه بحبّ الدنيا التاط قلبه منها بثلاث، همٌّ لا يغبّه وحرصٌ لا يتركه وأملٌ لا يدركه»**.

كما وصف الفساق وأهل الدنيا وتأثير سلوكهم على حياة قلب الإنسان بقوله: **«اقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها وأصطلحوا على حبّها ومن عشق شيئاً أغشى بصره وأمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأُذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت إليها وحيثما أقبل عليها»**(٢).

ولعلّ من أهم مقاصد (الدين) هو معالجة هذا السبب، وذلك من خلال أساليب الموعظة والتحذير وبيان الدور الحقيقي للحياة الدنيا وموازنتها بالحياة الآخرة، وقد اشتمل القرآن الكريم على المئات من الآيات الكريمة التي تناولت هذا الموضوع وفي مختلف أدوار نزوله.

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

---

(١) الحديد: ١٣ – ١٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩.

خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾(١).

﴿ٱعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾(٣).

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ﴾(٤).

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٥).

---

(١) آل عمران: ١٤ ـ ١٥.

(٢) الحديد: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) المنافقون: ٩.

(٤) التوبة: ٢٤.

(٥) المجادلة: ٢٢.

وهذا الحب للدنيا وإن كان غريزة في نفس الإنسان، ولكن عالجه القرآن الكريم والدين الحنيف.

ومن خلال إثارة عوامل التقوى والورع.

ومن خلال التعويض عن التضحية بثواب الآخرة ورضوان الله.

ومن خلال التقويم الصحيح للدار الدنيا:

﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلّا متاع﴾.

﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلّا قليل﴾.

﴿وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور﴾.

﴿وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو﴾.

ويتحول هذا السبب إلى حالة خطيرة عندما تتوفّر للجماعة بشكل عام أسباب الترف والدعة وتنفتح عليها أبواب الثروة والأموال والرخاء، حيث تتعرض الجماعة بأكملها إلى خطر موت الضمير العام لديها، وتصاب بهذا المرض القاتل.

وهذا ما واجهته الأمة الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، فإن شهوات الدنيا وزينتها لم تصبح قاصرة على فئة معينة ومحدودة من الناس، بل أصبحت في متناول عموم الجماعة الإسلامية بسبب الفتوحات وتدفق الأموال الهائلة عليهم بسبب هذا الفتح.

لقد كان المسلمون في السابق جماعة من الفقراء، يعيشون حياة صعبة وقاسية فيها الكثير من شظف العيش، فإذا بهم تنفتح عليهم بلاد كسرى وبلاد قيصر وتقع بأيديهم أرض السواد والشام ومصر وأفريقيا، وتتهيأ لهم

الوسائل المختلفة للعيش المرفّه وأساليب الترف الجديدة.

وأصبحت أمامهم فرص واسعة لم يعرفوها من قبل، هذا الإنسان الذي لم يكن يتمكن أن يعد الأشياء بأكثر من الألف، ولم يكن يتصور أنّ هناك عدداً أكبر من الألف، إذا به يملك الملايين من الأموال ولا يعرف كيف يتصرف بها.

حتى أن بعض الصحابة أخذ يملك من الذهب كميات كبيرة تكسر بالفؤوس، مثل عبد الرحمن بن عوف، أو أنّ بعضهم كان قد أقطعه الخليفة خراج أفريقيا بأكمله مثل مروان بن الحكم.

مثل هذه الأوضاع الاجتماعية والسياسية تحولت إلى مرض اجتماعي خطير في غياب التخطيط الاقتصادي الصحيح، والتوجيه التربوي والأخلاقي السليم، أو التوزيع العادل الذي يقوم على أساس المقاييس القرآنية من العلم والتقوى والجهاد والحاجة... الخ.

لقد أصبحت الحالة تشبه إلى حد كبير الحالة التي يعيشها بعض المسلمين في أيامنا المعاصرة عندما انفتحت عليهم أبواب النفط، وأصبحت الأموال تأتيهم من كل جانب ومكان، وأخذوا يتصرّفون في هذه الأموال بعقلية الترف والإسراف والتبذير، الأمر الذي أدّى بهم إلى أن يصابوا بحالة مشابهة لحالة المسلمين الأوائل، حالة مرض القلب وموت الضمير[1].

---

(١) وفي العراق عاش الناس فترة من الزمن بهذا اللون من الغنى والترف، فأصبح الإنسان يمسي فقيراً ويصبح غنياً، وأصبح الهم الأكبر للناس هو الدنيا وجمع الأموال والانغماس في اللذات والشهوات، وتحول الكثير منهم إلى عبيد للمادة والطغاة.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المرض الخطير والأوضاع الاجتماعية التي تنشأ منه عند حديثة عن الأمم السابقة وكأنّه يتحدّث عن هذه الأمة الخاتمة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾(١).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ٱلضَّرَّاءُ وَٱلسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٢).

هذا الشيء أيها الأخوة لا بدّ لنا في مثل هذه الليالي أن نتذكره ونضعه أمامنا، وهذا هو الشيء الذي أصيب به أولئك الذين قاتلوا الحسين عليه السلام، فإنهم ماتت ضمائرهم وقست قلوبهم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم هؤلاء لم يرجعوا إلى الله فسدّ عليهم باب رحمته وهدايته، فأعطاهم الأموال الزائلة والجاه المؤقت، ولكن الله سبحانه وتعالى أخذهم - بعد ذلك - بغتة، فإذا هم مبلسون، متحيّرون قد خسروا الدنيا والآخرة، وبقيت تلاحقهم لعنة التأريخ وعذاب الله الأليم في اليوم الآخر.

ولا يمكن لأي أمة أن تنهض وتتغيّر حتى يغيّر الله تعالى ما بها إلّا اذا

---

(١) الأنعام: ٤٢ - ٤٤.

(٢) الأعراف: ٩٥.

استجابت لله وللرسول حيث يدعوهم لما يحييهم ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١).

والجهاد في سبيل الله وبذل النفس والمال من أجل الله والدفاع عن المظلومين والمستضعفين هي دعوة الله والرسول إلى المؤمنين لما فيه حياتهم وخيرهم وصلاحهم، كما يفهم ذلك من سياق الآيات.

ولا يمكن لأُمة أن تتغير إلّا إذا تنازلت عن حب الدنيا وزخارفها وارتبطت بالقيم الصالحة والمثل الرفيعة، وكان حبها لله ولرسوله وللإسلام هو الحب الأشد والأقوى من كل حب.



(١) الأنفال: ٢٤.

ب - أسباب فقدان الإرادة

قد يكون للإنسان ضمير حي يتحسس به آلام الآخرين ويتحسس بالظلم والمأساة، وقد يكون للإنسان ضمير يدرك به الحق ويعي مواقفه، كما كان ذلك بالنسبة للكثير من أهل الكوفة في نهضة الإمام الحسين﵇.

وقد عبرّ الفرزدق عندما التقى الإمام الحسين﵇ في طريقه إلى الكوفة عن هذا الضمير بقوله: «**قلوبهم معك وسيوفهم عليك**» كما تقول الرواية، يعني الكثير منهم كانت لهم ضمائر، كانوا يتحسسون ويدركون ويعرفون الحقيقة، ولكن كانوا في نفس الوقت فاقدي الإرادة.

فالموقف لا ينبع من ضمائرهم ومن قلوبهم وإنما يملي عليهم الآخرون المواقف.

السؤال هنا: ما هي أسباب فقدان الإرادة؟

لا بد لنا أن نعالج هذا السؤال وهذا الموضوع، لأنه سؤال تبتلي به الشعوب والجماعات والأفراد، وقد ابتلينا به في العراق.

١ - القمع، الإرهاب المادي

السبب الأول: الشعور بالخوف والضعف في مقابل الطغاة، والقمع والإرهاب من قبلهم، وهذا العامل يمثل عاملاً خارجياً في حركة

الأُمة والأفراد.

ولكن هنا نجد الطغاة والمستكبرين يحاولون دائماً أن يستخدموا هذا العامل ويمارسوا هذا الاسلوب في الضغط على إرادة الأمة والجماعة والأفراد، لتحقيق مآربهم وأهدافهم في استعباد الناس والهيمنة عليهم وفرض سلطتهم ووجودهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ ذلك عندما تحدّث عن الظاهرة الفرعونية في المجتمع الإنساني من خلال قصة موسى عليه السلام والفراعنة في مصر.

فمثلاً عندما يقف فرعون عاجزاً أمام الحجة والبرهان الالهي الذي جاء به موسى في العصا واليد البيضاء، وينتصر موسى في المباراة مع السحرة الذين حشدهم فرعون لمواجهة موسى ﴿ **فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين* وألقي السحرة ساجدين* قالوا آمنا بربّ العالمين** ﴾ (١) هنا نجد فرعون يلجأ إلىٰ التهديد بالقمع والارهاب من أجل أن يضغط عن إرادة السحرة ويغيّر من موقفهم الإيماني.

﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ* لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ (٢).

وكذلك استخدام فرعون هذا الأُسلوب لمواجهة حركة موسى وبني إسرائيل التحررية.

﴿ **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك**

(١) الأعراف: ١١٩ ـ ١٢١.

(٢) الأعراف: ١٢٣ ـ ١٢٤.

قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون﴾(١).

كما أنّ القرآن الكريم عندما يتحدث عن فرعون يتحدث عن هذا الأُسلوب **﴿إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّه كان من المفسدين﴾**(٢).

كما أنّ التأريخ الإسلامي الذي تحدث عنه القرآن الكريم والسيرة النبوية يشير إلىٰ استخدام المشركين لهذا الأُسلوب الوحشي في مواجهة الرسالة الإسلامية، حيث تعرض المسلمون وفيهم النبي ﷺ، لألوان من العذاب والقتل والتعذيب والمطاردة من أجل الضغط علىٰ إرادتهم.

حتى عرف عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما أوذي نبي كما أوذيت»**، وقال لعمه أبي طالب عندما صعّد المشركون من وسائل الضغط والارهاب: **«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر»**.

كما أنّ الأمويين بشكل عام وعبيد الله بن زياد بشكل خاص استخدام هذا الأُسلوب كمنهج عام لمواجهة حركة الإمام الحسين ﷺ.

بحيث يبدو هذا الأُسلوب كطابع عام وواضح في مجمل الإجراءات والأساليب والوسائل التي استخدمها عبيد الله بن زياد ضد (الأمة) في الكوفة بشكل عام، وضد شيعة الحسين ﷺ وأصحابه بشكل خاص.

والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، ففي طريقة اعتقال الزعيم الكبير والصحابي الجليل هاني بن عروة وقتله، وكذلك طريقة قتل ميثم التمار من قبله وطريقة

---

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) القصص: ٤.

قتل مسلم بن عقيل، وقتل رسول الحسين عليه السلام إلىٰ مسلم ورسول مسلم إلىٰ الحسين، وغلق أبواب الكوفة ومسالكها، واعتقال عدة آلاف من شيعة علي عليه السلام والتهديد بجيش الشام، وفرض النفير العام علىٰ جميع أهل الكوفة وعشائرها، والتهديد بالقتل لمن يتخلّف عنه.

كل هذه الحوادث وأمثالها الذي يجد الباحث تفاصيلها في كتاب التأريخ والسير والمقاتل تدل علىٰ هذه الحقيقة.

أسلوب العلاج

ولا شكّ أنّ أفضل أسلوب لمواجهة الإرهاب والقمع هو الصبر والصمود والاستمرار في المقاومة. والاستعانة بالله تعالى في كل ذلك، والاستمداد من قدرته العظيمة التي هي أكبر من كل قوة وقدرة.

ولذلك يشير القرآن الكريم إلىٰ هذا الأُسلوب والمنهج في مواجهة هذا العامل في قضية موسى عليه السلام بعد تهديد فرعون لموسى وقومه كما أشرنا.

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعلمون﴾(١).

ولذلك أكد القرآن الكريم علىٰ الصبر والثبات، واهتم بتربية الإنسان المؤمن علىٰ هذا الخلق الاسلامي العالي، واستخدم جميع الوسائل لتثبيت النبي والمؤمنين، حتى كان أحد أهداف نزول القرآن الكريم التدريجي هو

(١) الأعراف: ١٢٨ ـ ١٢٩.

تحقيق هذا الهدف ﴿**وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ونزلناه تنزيلا**﴾.

ومن هنا نجد أنّ من الواجب والضروري لكل أمة لا تريد لإرادتها أن تنهار وتصبح أسيرة للخوف والإرهاب، أن تكون شجاعة وصلبة وقوية في مواجهة القمع والقسوة والإرهاب، ولا بد لها أن تتغلب على الخوف حتى تكون قادرة على اختيار الموقف الصحيح في اللحظة المناسبة.

والطغاة مهما تجبّروا فإنهم أضعف من صبر الأمة ومقاومتها وطاقاتها وإمكاناتها، المحمية بالقدرة الإلهية التي لا حدود لها.

وقد استنكر القرآن الكريم قضية الاستسلام للخوف والإرهاب تحت شعار الاستضعاف والخوف، واعتبر ذلك ظلماً للنفس وسبباً لاستحقاق أشد ألوان العذاب من الله تعالى، ودعى الإنسان إلى أن يتدبّر جميع الوسائل، ومنها الهجرة إلى مكان آخر واستبدال المواضع ما دام ذلك ممكناً، ولا يصح له أن يستسلم للظلم والخوف.

﴿**إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...**﴾ هذه الحالة أيها الإخوة تشبه إلى حد كبير الحالة التي يعيشها الكثير من إخواننا في العراق، إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم هؤلاء الملائكة تتوفاهم تأخذ أرواحهم ونفوسهم وهم في حالة الظلم لأنفسهم، أي حالة العصيان لله ﴿**قالوا فيم كنتم**﴾، أي ما هو السبب في ظلمكم لأنفسكم، ولماذا فقدتم إرادتكم واخترتم شيئاً لا ينسجم مع أحكام الله، ﴿**قالوا كنّا مستضعفين في الأرض**﴾، يعني هؤلاء لا يقولون بأننا كنا معجبين بما اخترناه، وبالعمل الذي قمنا به، وبالطريق الذي سلكناه،

وإنّما اخترنا هذا الطريق وهذا العمل باعتبار حالة الاستضعاف وحالة الخوف والارهاب الذي كنّا نعيشه. ولكن القرآن الكريم يجيبهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح ويطرح أمامهم أحد الخيارات على لسان الملائكة ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا، فيها﴾، هنا يسكتون، هؤلاء فقدوا إرادتهم وبقوا تحت الظلم، يختارون أن يكونوا إلى جانب (صدام) أو يلتحقوا بجيش وأزلام صدام، فيقاتلوا الإسلام والمسلمين.

وكذلك أولئك الذين عاصروا الحسين عليه السلام قد رضخوا لظلم ابن زياد الذي كان يقتل على الظنة والتهمة، فلم يملكوا إرادتهم فأجبرهم على أن يخرجوا ويقاتلوا الإمام الحسين عليه السلام، ولكن كان أمامهم طريق آخر على الأقل وهو أن يهاجروا في سبيل الله، لأنّ أرض الله واسعة، ومن هنا فالقرآن الكريم يقول في تعيين مصيرهم عند الله:

﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾.

ثم يستثني القرآن نوعية معينة من الناس، وهم الرافضون غير المستسلمين ولكنهم لا يملكون القدرة على أن يصنعوا شيئاً، ﴿إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾، ويعني بهم أولئك الذين ليست لديهم القدرة، والطاقة، والوسيلة للهجرة، ﴿لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عوفاً غفوراً﴾[1].

هذه كلها تعليمات في القرآن الكريم يعالج فيها قضية الخوف والارهاب الذي يسبب فقدان الإرادة.

(١) النساء: ٩٧ ـ ٩٩.

اذاً فلا بد من الصبر والثبات على المقاومة والاستعانة بالله حتى تنتصر الأُمة في المعركة.

وهذا هو ما لم تفعله الأُمة في عصر الإمام الحسين﴿ع﴾، بل استسلم عدد كبير منها للخوف والارهاب، فكان ذلك أحد الأسباب المهمة والرئيسية لوقوع الفاجعة والمأساة.

٢ - الجهل أو الاختلاف

السبب الثاني: من أسباب فقدان الإرادة هو الجهل وعدم وضوح الحقيقة وتشوش الرؤية، أو فقدان الرؤية الصحيحة بسبب العمل الإعلامي المضاد الذي يستخدمه الأعداء والطغاة لتضليل الأُمة وتشويه الحقائق. أو بسبب انخفاض وعي الأُمة وبالتالي عدم قدرتها على فهم الحقائق، الأمر الذي يستغله الأعداء.

ويؤدي ذلك عادة إلى اختلاف الأُمة وتفرّقها في موقفها تجاه ظاهرة الظلم والطغيان، فتفقد الإرادة للموقف الصحيح، أو تتشتت الارادات وتتضارب وتختلف فتضعف وتذهب قوتها وريحها، كما يعبر القرآن الكريم.

ويستخدم الطغاة عادة لتحقيق هذا الهدف (الجهل) أُسلوب (الحرب النفسية).

أما الاتهام بالسحر والشعوذة أو الطعن بالمقاصد والأهداف، مثل تحقيق الرغبات والميول الشخصية.

أو الاتهام بالخروج عن الطاعة وشق عصا المسلمين، والتمرد على الجماعة ووحدتها، وبالتالي الفساد والإفساد في الأرض.

واما الاتهام بالظلم والطغيان والعدوان وتجاوز الحقوق الإنسانية والحدود الاجتماعية.

وهذه الاسباب هي الأسباب الرئيسية التي تكمن وراء ظواهر الحرب والقتال الظالم الذي عرفتها البشرية في تأريخها ورفضتها الفطرة الإنسانية في وجدانها، ولذلك يلجأ الطغاة إلى إثارتها في وجه الأنبياء والمرسلين وجميع الأئمة والدعاة المصلحين.

وهي الإثارات التي نعرفها من خلال القرآن الكريم التي استخدمها المستكبرون في مقابل الأنبياء، وفرعون في مقابل موسى عليه السلام، والمشركون في مقابل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

والهدف من وراء ذلك كله إيجاد الاختلاف في صفوف الأُمة واضعاف إرادتها وقدرتها على الحركة في مواجهة الطغيان والظلم والفساد، فتفقد الأمة إرادتها.

وهذا السبب وإن لم يكن له دور مهم في قضية الإمام الحسين عليه السلام، حيث كانت الأمة قد مرت بفترة زمنية طويلة نسبياً تكشفت أمامها حقيقة الفساد والظلم والجور الأموي - خصوصاً في الكوفة - من خلال المقارنة بين حكم الإمام علي عليه السلام الذي كان يمثل القمة والقدوة في العدل والإحسان، وحكم معاوية الجائر الظالم.

وكذلك من خلال موقف الإمام الحسن عليه السلام، الذي تمكن من خلال الهدنة

مع معاوية أن يكشف زيف الادعاءات الأموية وشعاراتهم.

والأكثر من خلال التجربة التي عاشتها الأمة وخصوصاً في العراق، تجربة الظلم والجور المطاردة وقتل الصالحين أمثال حجر بن عدي وأصحابه، والعدوان على الحرمات والكرامات.

وكذلك من خلال العمل الإعلامي الرائع للامام الحسين عليه السلام الذي تمكن أن يوضح فيه مقاصده وأغراضه من هذه النهضة واحتاط لهذا الأمر، والذي يكتسب أهمية خاصة في ترتيب النتائج والآثار في الحاضر والمستقبل، وتحقيق الأهداف، كما سوف نشير إلى ذلك قريباً إن شاء الله.

وذلك كله بالرغم من محاولات الأمويين وأتباعهم تشويه النهضة وصورتها من خلال إطلاق التهم الباطلة والادعاءات الفارغة، مثل (شق عصا المسلمين) و(الخروج) على الجماعة، أو تحويل الصراع إلى صراع قبلي: (أموي هاشمي)، أو أقليمي: (كوفي شامي)، وغير ذلك من الأساليب.

سبب الاختلاف

ولكن مع ذلك كانت هناك قضية مهمة أثارت الاختلاف في تقدير الموقف تجاه هذا الوضوح الذي تعيشه الأمة بالنسبة إلى يزيد وحكمه.

وهذه القضية هي قضية الحكم الشرعي تجاه هذه الظاهرة: هل هو الهروب من المجتمع والحياة والتخلص من المسؤولية الفردية بذلك؟! كما صنع عبد الله بن عمر.

أو الانتظار للفرصة المناسبة للخروج والتربص والسكوت في الوقت

الحاضر؟! كما صنع عبد الله بن الزبير.

أو الاستجابة للوظيفة الشرعية الالهية وكذلك للرأي العام في الأمة والتفاعل معه، والذي كان يدعو إلى تسجيل موقف الرفض عملياً والسعي لتغيير الواقع فعلياً، حيث كانت تشكل هذه الظاهرة (ظاهرة حكم يزيد) أمراً خطيراً في مسيرة التأريخ الإسلامي وحركة الأُمة، بل يمكن أن تتحول إلى ظاهرة ثابتة في الأُمة ومنعطف خطير يهدد كيانها ووجودها، وليست مجرد ظاهرة عابرة يمكن الانتظار فيها فضلاً عن السكوت عنها؟!!

وهذا هو ما ميّز موقف الإمام الحسين عليه السلام كما ذكرنا سابقاً من ناحية.

ولكن هذا الاختلاف في الرأي كان له تأثير سلبي على إرادة الأُمة وإجماعها عملياً في الموقف.

ويمكن أن نتعرف على هذا الاختلاف ووجهات النظر المتعددة من اختلاف المواقف تجاه تحرك الحسين عليه السلام.

فقد كان من مظاهر هذا الاختلاف في الرأي والموقف، الاختلاف في المواقف الأربعة لوجهاء الصحابة والتابعين آنذاك (عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي عليه السلام)، حيث كان لكل واحد منهم موقف يختلف إلى حد ما عن موقف الآخر، وإن كانوا جميعاً متفقين على رفض خلافة يزيد بن معاوية.

كما أنّ من مظاهر الاختلاف، الاختلاف الذي ظهر في البصرة بين موقف الاحنف بن قيس الذي راسله الحسين عليه السلام فصدقه في دعوته وإن كان طلبه منه الصبر ولم يستجب له في النصرة، وموقف يزيد بن مسعود

التميمي[1]، الذي استجاب لدعوة الحسينعليه السلام وتحرك لنصرته وتحدث مع عشيرته.

ومن مظاهره موقف بعض خالصة الحسينعليه السلام مثل عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس،وعبد الله بن مطيع العدوي وغيرهم، الذين كانوا ينصحون الحسينعليه السلام بعدم التحرك ويدعونه إلىٰ السكوت، والانتظار، أو يسعون لأخذ الأمان له،كما تشير إلىٰ ذلك بعض النصوص.

بالإضافة إلىٰ مواقف بعض أصحاب المصالح الخاصة من الرافضين كعبد الله بن الزبير، الذي كان يتمنى أن يخرج الحسين من مكة ليصفو ويخلوا له الجو فيها، حيث كان يطمح أن يكون الأمير فيها، ومع وجود الحسين فيها فإنّ الناس سوف يميلون إلىٰ الحسينعليه السلام بطبيعة الحال.

وهذه الاختلافات تجعل الأُمة تفقد إرادتها بالتدريج وتجعلها غير قادرة علىٰ الاختيار المناسب واتخاذ الموقف المناسب.

وقد أكد القرآن الكريم في عدة من المواضع علىٰ أهمية وحدة الكلمة والرأي، ونهي عن الاختلاف، فقال سبحانه ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.

وقال تعالى أيضاً: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾.

ومن هنا نشاهد الأمم والشعوب عندما تتحد تتمكن من تحقيق الانتصار، لأن الوحدة بالإضافة إلىٰ ما توجده من قوة تجعل الأُمة قادرة علىٰ الاختيار والإرادة.

---

(١) في بعض الروايات جاء اسمه (مسعود بن عمرو).

ومن الشواهد في تأريخنا المعاصر على هذه الحقيقة الشعب الايراني المسلم، فإنه كان يملك إرادته، وتمكن بذلك من مواجهة الحديد والنار ومختلف الاسلحة التي زودت بها أمريكا والغرب الشاه المقبور، وكل ذلك بقبضات الأيدي وبالصرخات والهتافات وشعارات (الله أكبر).

حيث كانت الأمة واحدة وملكت الإرادة والاختيار، وكان اختيارها أن تنزل إلى الشارع وتمكنت من تحقيق الانتصار وتطيح بالطاغوت.

إذن فقضية الاختلاف لها دور مهم في سلب إرادة الأمة، والإعلام المضلل له دور مهم في ايجاد الاختلاف.

٣ ـ اليأس والقنوط

السبب الثالث: اليأس والقنوط والإحساس بعدم القدرة في الوصول إلى الأهداف، وبالتالي عدم جدوى الحركة والتصدي.

وهذا ما يحاول الطغاة دائماً أن يزرعوه في نفوس الأمة من خلال التظاهر بالقوة والمنعة وادعاء البقاء والاستمرار والتهديد باستخدام وتوظيف طاقات جديدة لغرض الهيمنة والسلطة، مثل التهديد الذي استخدمه عبيد الله بن زياد بدعوة جيوش الشام للتدخل في المعركة.

أو التشكيك بتظافر جهود الأمة ووحدة موقفها العملي، أو بنيات الآخرين وعزمهم في التعاون والتناصر.

أو تشجيع روح الاتكالية والانتظار للآخرين لزعزعة الإرادة الواحدة للأمة والجماعة.

ولا شك أنّ اليأس والقنوط يقتل الإرادة ويقضي على النشاط والحركة، وبالتالي تفقد الأُمة إرادتها فتختار الجلوس والقعود، أو تقف موقف المتردد والمتحير بين الدوافع الوجدانية الموجودة، والشعور بعدم القدرة على التأثير والانتاج.

٤ -الإغراء وشراء الضمائر:

السبب الرابع: الاغراء بالأموال والمناصب من أجل احتواء يقظة الضمير والوجدان وممارسة الضغط عليها بتحريك نوازع النفس الإنسانية وشهواتها وميولها، للتغلب على اتجاهات الفطرة ومقتضياتها ودوافعها.

وبالتالي ايجاد عامل مضاد للحياة في الضمير من أجل القضاء عليه أو تعطيل تأثيره وتحذيره، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الإرادة والاختيار باتجاه متطلبات النظر العقلي أو الوجداني.

فكما يشكل الخوف والارهاب عامل ضغط وتعطيل لتأثير الضمير والوجدان.

كذلك الاغراء بالأموال والمناصب والشهوات وتصعيد أثرها، يشكل عاملاً من عوامل الضغط على الإرادة وفعلها.

وهذا السبب نراه واضحاً في مجموعة الممارسات الأموية التي قام بها يزيد في أول استلامه للسلطة، عندما خطب في الناس، وقدم لهم الوعود والمغريات بالراحة والدعة وكذلك بزيادة العطاء والرواتب، وكذلك من خلال ما طرحه عبيد الله بن زياد من زيادة في الرواتب وتقديم الجوائز

الكبيرة، وفي قضية عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي عرضت عليه ولاية الري وخراجه كثمن لمشاركته في قتال الحسين عليه السلام. وتردده في البداية حتى حسم الموقف لصالح هذا العرض المغري والمنصب الكبير والخراج الواسع له[1].



(١) سوف نشير إلى النصوص التاريخية التي تتحدث عن هذه القضايا في الفصل الآتي.

ثالثاً: مظاهر موت الضمير وفقدان الإرادة في ثورة الحسين عليه السلام

من المستحسن أن نشير إلىٰ بعض النماذج والمصاديق لموت الضمير وفقدان الإرادة التي عرفتها الأُمة الإسلامية في عصر الإمام الحسين عليه السلام، لتصبح الصورة أكثر وضوحاً والحقيقد أوضح اشراقاً، خصوصاً إذا قارنّا هذه النماذج والظواهر مع المواقف والظواهر التي عبرّ عنها الإمام الحسين وأصحابه في سلوكهم وعملهم.

ومن الواضح أنّ هذين المرضين الخطيرين أحدهما ينعكس سلبياً علىٰ الآخر بطبيعة الحال.

فإنّ موت ضمير الإنسان والطبع علىٰ قلبه يصيبه بالعمى والجهل ويجعله غير قادر علىٰ فهم الأشياء ومعرفتها ﴿**فطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾، وبالتالي يفقد إرادته.

وكذلك التمادي في فقد الإرادة والحيرة والضياع يؤدي إلىٰ قسوة القلب ومرضه، وبالتالي موت الوجدان والضمير لدى الإنسان.

ولذلك نجد من خلال هذه النماذج التي سوف نستعرضها أنّ الصورة قد تختلط بينها لوجود المرضين الخطيرين معاً في بعض هذه النماذج، وان كان مظهر أحد المرضين أوضح فيه من الآخر.

مظاهر موت الضمير

لقد كانت ظاهرة موت الضمير هي المظهر البارز لمأساة يوم عاشوراء وأحداثه، والطريقة الوحشية والمعاملة القاسية التي استخدمها عبيد الله بن زياد وقادة الجيش اليزيدي مع الحسين وأصحابه وأهل بيته، وخصوصاً مع الأطفال والنساء والعاجزين.

وهذا الأمر أثار استنكار عدد واسع من أفراد الجيش اليزيدي أنفسهم، وعبّروا عنه أحياناً بالانضمام إلى جيش الإمام الحسين عليه السلام، كما صنع الحر بن يزيد الرياحي - وهو أحد أربعة رئيسيين كانوا مسؤولين عن قيادة الجيش - وعدد آخر قليل من الأفراد.

وكان التعبير عن ذلك أحياناً أُخرى بالكلام والحديث، كما ينسب ذلك إلى شبث بن ربعي وبعض العناصر الأُخرى.

وأحياناً أخرى يتم التعبير بالبكاء وعدم المشاركة الفعالة في القتال والتزعزع في الموقف، كما هو الموقف العام في قضية أبي الفضل العباس وقتل الحسين عليه السلام.

ومن خلال الملاحظة الدقيقة للأحداث، يبدو أنّ هناك مجموعة من العناصر الفاسدة المجرمة من قساة القلوب وميتي الضمائر وقادة الجيش، كانت هي التي ترتكب الأعمال الأجرامية وتحث عليها، ويقع فاقدوا الإرادة

تحت تأثيرهم وتأثير الجو العام للصراع والحالة العامة التي يعيشها الناس، وذلك أننا نجد أسماء كانت تتكرر في الاحداث أمثال شمر بن ذي الجوشن، وحجار بن أبجر، والحصين بن نمير، وعمرو بن الحجاج، وسنان بن أنس، وحرملة بن كاهل، وقيس بن الأشعث، وهاني بن شبيب، وعزرة بن قيس، وبحر بن كعب، وكثير بن عبد الله الشعبي، وحكيم بن الطفيل، وغيرهم وبعض الجلاوزة الآخرين الذين كانوا يحيطون بهؤلاء.

ولكن الجو العام في الأُمة كان يعبّر أيضاً عن وجود هذا المرض، حيث نلاحظ أنّ الإمام الحسين تحدث عن هذا الجو العام عندما خطب أصحابه بعد أن توضحت معالم المعركة وتمخضت الأوضاع السياسية عن المواجهة بين عبيد الله بن زياد وجيشه والحسين عليه السلام والنخبة الصالحة معه، حيث أقبل الحسين عليه السلام علىٰ أصحابه فقال: **«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق علىٰ ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم، فاذا محصّوا بالبلاء قلّ الديّانون..** ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى علىٰ محمد وآل محمد وقال: **أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وأنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعي الوبيل، ألا ترون إلىٰ الحقّ لا يعمل به وإلىٰ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله! فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما»**(١).

وبالرغم من أنّ الطابع العام لمأساة يوم عاشوراء يعبر عن ظاهرة موت الضمير بشكل خاص، ولكن هناك بعض المواقف ذات تعبير أبلغ وأوضح نشير إلىٰ عدد منها:

---

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ص ١٩٣ – ١٩٤.

١ - الجانب الإنساني

قطع الماء عن الحسين وأهل بيته عليهم السلام منذ اليوم السابع من المحرم مع شدة الحر وحدّة المعركة، وقد كان الحسين يستغيث يوم عاشوراء في عدة مواضع من هذا العطش ويطلب الماء ولو من أجل الاطفاء والنساء، فلم يجيبوه حتى في حالة الاحتضار.

«فقد أنزل عمر بن سعد الخيل على الفرات وحاولوا بينه وبين سيد الشهداء، ولم يجد أصحاب الحسين طريقاً إلى الماء، وحتى أخذ بهم العطش، فأخذ الحسين فأساً وخطا وراء خيمة النساء تسعة عشرة خطوة نحو القبلة، وحفر فنبعت ماء عذب فشربوا ثم غارت العين ولم ير لها أثر، فأرسل ابن زياد إلى ابن سعد: بلغني أنّ الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه، فانظر اذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيق عليهم غاية التضييق، فبعث في الوقت عمر بن الحجاج في خمسمائة فارس ونزلوا على الشريعة قبل مقتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيام»(١).

وبقي الأمر على هذا الحال حتى مصرع الحسين عليه السلام، ولعلّ أشد الصور فضاعة في هذا المجال هي: صورة قتال علي الأكبر وطلبة للماء ومقتله، وكذلك قتال العباس من أجل الماء، ومقتل الطفل الرضيع، ومصرع الحسين نفسه.

قال هلال بن نافع: كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فو الله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنورا! ولقد شغلني نور

---

(١) مقتل الحسين، المقرم: ص ٢٠٢.

وجهه عن الفكرة في قتله! فاستقى في هذه الحال ماء فأبوا أن يسقوه.

وقال له رجل: لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها، فقال عليه السلام: «**أنا أرد الحامية! وإنما أرد على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأشكوا اليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي**»، فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً»[١].

٢ - الجانب الأخلاقي

نقض العهود والمواثيق من قبل الزعماء وقادة الجيش من الذين كانوا قد كتبوا إلى الحسين عليه السلام يبايعونه ويحرضونه على المجيء إلى الكوفة، إلّا أنهم كانوا قد قبضوا الأموال والرشاوي فانقلبوا في موقفهم السياسي. وهذا هو ما أشار إليه عمرو بن خالد الصيداوي ورفاقه عندما سألهم الحسين عليه السلام عن رأي الناس في الكوفة فأخبروه: «بأن الأشراف قد عظمت رشوتهم...».

ويشير إلى الموقف أيضاً كلام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عندما نادى: «**يا شبث بن ربعي، وياحجار بن أبجر، وياقيس بن الأشعث، ويازيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن أقدم، قد أينعت الثمار واخضر الخباب وانما تقدم على جند لك مجنّدة؟! فقالوا: لم نفعل. قال: سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم...**»[٢].

ويؤكد ذلك ما رواه الطبري أيضاً من «أن عمر بن سعد دعا عزرة بن قيس الأحمسي وأمره أن يلقى الحسين ويسأله عما جاء به فاستحيا عزرة لأنه ممّن كاتبه فسأل من معه من الرؤساء أن يلقوه فأبوا لأنهم كاتبوه....»[٣].

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٨٢.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٢٨ عن الطبري.

(٣) مقتل الحسين للمقرم: ص ١٩٨، عن الطبري.

٣ - الجانب السياسي

الخطاب السياسي للحكام وطريقة تعاملهم مع أنصارهم وأعوانهم والأُمة بشكل عام. فإنه يعتمد في أحد أسسه الرئيسية علىٰ وجود هذا المرض في الأُمة، فمثلاً نجد أن الخطبة الأُولى ليزيد التي تمثل منهجه العام في الحكم تعتمد في خطابه السياسي علىٰ وجود هذا المرض في الأُمة:

«وقد وليت الأمر من بعده (معاوية) ولست آسي علىٰ طلب ولا أعتذر من تفريط، وإذا أراد الله شيئاً كان. ولقد كان معاوية يغزو بكم في البحر، واني لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر. وكان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتياً أحداً بأرض الروم، وكان يخرج عطاءكم أثلاثاً وأنا أجمعه كله لكم»[١].

وكذلك خطبة ابن زياد عندما أراد أن يعبأ الناس لقتال الحسين عليه السلام:

«وجمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة، فقال: أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه، حسن السيرة محمود الطريقة محسناً إلىٰ الرعية. يعطي العطاء في حقه، وقد امنت السبل علىٰ عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد يكرم العباد ويغنيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلىٰ حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا. ثم نزل ووفر العطاء»[٢].

---

(١) مقتل الحسين للمقرم عن البداية والنهاية لابن كثير: ص ١٢٧.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ١٩٨ - ١٩٩.

ويعبرّ عن هذا الاتجاه في وجود هذا المرض الخطير هو أنّ مجموعة من القادة والعناصر كانت تقوم بأخس الأعمال الوحشية طمعاً بالمال أو الغنائم أو الجائزة.

ولعل من أبرز هذه المظاهر وحشية ودلالة حادثة سلب الحسين عليه السلام.

«حيث أقبل القوم على سلبه فأخذ الأخنس بن مرثد بن علقمه الحضرمي عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعليه، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي، ويقال رجل من بني تميم اسمه الأسود بن حنظلة.

وجاء بجدل فرأى الخاتم في اصبعه والدماء عليه فقطع اصبعه وأخذ الخاتم، وأخذ قيس بن الاشعث قطفته وكان يجلس عليها فسمي قيس قطيفة، وأخذ ثوبه الخلق جعونة بن حوية الحضرمي، وأخذ القوس والحلل الرحيل بن خيثمة الجعفي وهاني بن شبيب الحضرمي وجرير بن مسعود الحضرمي، وأراد رجل منهم أخذ تكة سرواله وكان لها قيمة[1].

وكذلك حديث مسروق بن وائل الحضرمي: «كنت في أول الخيل التي تقدمت لحرب الحسين لعليّ أن أصيب رأس الحسين فأحظى به عند ابن زياد، فلمّا رأيت ما صنع بابن حوزة عرفت أنّ لأهل هذا البيت حرمة ومنزلة عند الله، وتركت الناس وقلت لا أقاتلهم فأكون في النار[2].

٤ - الجانب العسكري

قتل النساء والأطفال والأسرى والشيوخ والقراء وأصحاب الفضل، مع سبق الاصرار والتصميم والمعرفة بهم.

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٨٤ - ٢٨٥، عن الخوارزمي وابن الأثير وابن شهر أشوب.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٢.

ومن أجل توضيح هذا الخط العام لموت الضمير وقسوة القلب نستعرض هذه المشاهد:

أ -«وحمل الشمر في جماعة من أصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم، وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، وشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن حي ساقه فأخذ أسيراً وقتل صبراً، فمشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه: وتقول هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك، فقال الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.

وقطع رأسه ورمى به إلى جهة الحسين فأخذته أمه ومسحت الدم عنه، ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء، فردها الحسين وقال: إرجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد، فرجعت وهي تقول: اللهم لا تقطع رجائي، فقال الحسين: **لا يقطع الله رجاءك**».

ب -«وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين بالرمح، وقال: عليّ بالنار لأحرقه على أهله، فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط، وناداه الحسين: يا ابن ذي الجوشن، **أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي، أحرقك الله بالنار!** وقال له شبث بن ربعي: أمرعباً للنساء صرت؟ ما رأيت مقالاً أسوأ من مقالك وموقفاً أقبح من موقفك، فاستحى وانصرف.

وحمل على جماعته زهير بن القين في عشرة من أصحابه حتى كشفوهم عن البيوت»[1].

ج -«ولما رأى عزرة بن قيس وهو على الخيل الوهن في أصحابه

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٤١ - ٢٤٢، عن الطبري.

والفشل كلما يحملون، بعث إلىٰ عمر بن سعد يستمده الرجال، فمدّه بالحصين ابن نمير في خمسمائة من الرماة واشتدّ القتال، وأكثر أصحاب الحسين عليه السلام فيهم الجراح حتى عقروا خيولهم وأرجلوهم ولم يقدروا أن يأتوهم من وجه واحد لتقارب أبنيتهم، فأرسل ابن سعد الرجال ليقوضوها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم، فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون البيوت فيشدون علىٰ الرجل وهو ينهب فيقتلونه ويرمونه من قريب فيعقرونه.

فقال ابن سعد: احرقوها بالنار، فأضرموا فيها النار، فصاحت النساء ودهشت الأطفال، فقال الحسين: دعوهم يحرقونها فإنهم اذا فعلوا ذلك لم يجوزوا إليكم، فكان كما قال»[1].

د ـ «ونادى يزيد بن معقل: يا برير كيف ترى صنع الله بك؟ فقال: صنع الله بي خيراً وصنع بك شراً، فقال يزيد: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً، أتذكر يوم كنت أماشيك في (بني لوذان) وأنت تقول: كان معاوية ضالاً وان أمام الهدى علي بن أبي طالب؟ قال برير: بلى أشهد أنّ هذا رأيي، فقال يزيد: وأنا أشهد أنّك من الضالين! فدعاه برير إلىٰ المباهلة فرفعا أيديهما إلىٰ الله سبحانه يدعوانه أنه يلعن الكاذب ويقتله، ثم تضاربا، فضربه برير علىٰ رأسه قدت المغفر والدماغ، فخر كأنّما هوى من شاهق، وسيق برير ثابت في رأسه.

وبينما هو يريد أن يخرجه اذ حمل عليه رضي بن منقذ العبدي واعتنق بريراً واعتركا، فصرعه برير وجلس علىٰ صدره، فاستغاث رضي بأصحابه،

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٤٣، عن الطبري وابن الأثير.

فذهب كعب بن جابر بن عمرو الازدي ليحمل على برير، فصاح به عفيف بن زهير بن أبي الاخنس: هذا برير بن خضير القاري الذي كان يقرؤنا القرآن في جامع الكوفة، فلم يلتفت إليه وطعن بريراً ظهره فبرك برير على رضي وعض وجهه وقطع طرف أنفه وألقاه كعب برمحه عنه وضربه بسيفه وقتله.

وقام العبدي ينفض التراب عن قبائه وقال: لقد أنعمت عليّ يا أخا الازد نعمة لا أنساها أبداً.

ولما رجع كعب بن جابر إلى أهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيماً من الامر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً»[1].

هـ ـ «وكان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً، رأى النبي ﷺ وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً، فاستأذن الحسين وبرز شاداً وسطه بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة. ولمّا نظر إليه الحسين بهذه الهيئة بكى وقال: شكر الله لك يا شيخ، فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً وقتل»[2].

و ـ «وجاء عمرو بن جنادة الأنصاري بعد أن قتل أبوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين، فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل تكره ذلك، قال الغلام: إن أمي أمرتني فأذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين، فأخذته أمه ومسحت الدم عنه وضربه به رجلاً قريباً منها فمات. وعادت إلى المخيم. فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

---

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ عن الطبري وغيره.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

اني عجوز في النسا ضعيفة خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة»(١).

ز -«وخرج أبو بكر بن الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو عبد الله الأكبر وأمه أم ولد يقال لها رملة، فقاتل حتى قتل.

وخرج من بعده أخوه لامه وأبيه القاسم وهو غلام لم يبلغ الحلم، فلمّا نظر إليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى ثم أذن له، فبرز كأن وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان، فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى وأنف ابن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله أن يحتفي في الميدان، فوقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلّا بمثله، غير مكترث بالجمع ولا مبال بالألوف.

وبينما هو على هذا اذ شدّ عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي، فقال له حميد بن مسلم: وما تريد من هذا الغلام؟ يكفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه! فقال: والله لاشدن عليه، فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه فقال: ياعماه. فأتاه الحسين كالليث الغضبان فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من المرفق، فصاح صيحة عظيمة سمعها العسكر، فحملت خيل ابن سعد لتستنقذه فاستقبلته بصدرها ووطأته بحوافرها فمات.

وانجلت الغبرة واذا الحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه! والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، خصمهم يوم القيامة جدّك»(٢).

---

(١) مقتل الحسين للمقرم، ص ٢٥٣ عن الخوارزمي وابن شهر آشوب.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٦٥ عن الطبري ومقاتل الطالبيين والخوارزمي.

ح ـ «ودعا بولده الرضيع يودعه، فأتته زينب بابنه عبد الله وأمه الرباب فأجلسه في حجره يقبله ويقول: **بعداً لهؤلاء القوم اذا كان جدك المصطفى خصمهم**، ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء»(١).

ط ـ «قال هاني بن ثبيت الحضرمي: اني لواقف عاشر عشرة لما صرع الحسين عليه السلام، اذ نظرت إلىٰ غلام من آل الحسين، عليه أزار وقميص وفي أذنيه درتان وبيده عمود من تلك الأبنية، وهو مذعور يتلفت يميناً وشمالاً، فأقبل رجل يركض حتى اذا دنا منه مال عن فرسه وعلاه بالسيف فقتله، فلما عيب عليه كنى عن نفسه.

وذلك الغلام هو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وكانت أمه تنظر اليه وهي مدهوشة»(٢).

ي ـ «ثم إنهم لبثوا هنيئة وعادوا إلىٰ الحسين وأحاطوا به وهو جالس علىٰ الأرض لا يستطيع النهوض، فنظر عبد الله بن الحسن السبط عليه السلام وله إحدى عشرة سنة إلىٰ عمه وقد أحدق به القوم، فأقبل يشتد نحو عمه، وأرادت زينب حبسه فأفلت منها وجاء إلىٰ عمه، وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين، فصاح الغلام: يابن الخبيثة أتضرب عمي؟ فضربه، واتقاها الغلام بيده فأطنها إلىٰ الجلد، فاذا هي معلقة فصاح الغلام: يا عمّاه! ووقع في حجر الحسين فضمه إليه، وقال: **يا بن أخي اصبر علىٰ ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإن الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين**، ورفع يديه قائلاً: **اللهم إنْ متعتهم إلى**

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٧٣ عن الخوارزمي وابن كثير.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٨٠ عن الطبري وابن كثير وأبي الفرج.

حين ففرقهم تفريقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا.

ورمى الغلام حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه»(١).

ك - ولعل من أشد المشاهد لوعة وحسرة وتفجعاً وتعبيراً عن قسوة القلوب وموت الضمائر، هو مشهد الاحداث بعد مقتل الحسين عليه السلام، والذي يرويه جماعة من المؤرخين يكادون يجمعون فيه علىٰ هذه الحقيقة، وان كانوا يختلفون في بعض التفاصيل الصغيرة.

«لما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس علىٰ ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام وأضرموا النار فيها وتسابق القوم علىٰ سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات، وإنّ المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من اصبعها وقرطها من أذنها والخلخال من رجلها. أخذ رجل قرطين لام كلثوم وخرم أذنها، وجاء آخر إلىٰ فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي، قالت له: مالك؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله، قالت له: دعني. قال: أخاف أن يأخذه غيري.

ورأيت رجلاً يسوق النساء بكعب رمحه، وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهم من أخمرة أسورة، ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها، ولما أفاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكي.

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلىٰ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الحال، فصاحت يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٨٠ - ٢٨١، عن الطبري واللهوف.

لا حكم إلّا الله، يالثارات رسول الله، فردها زوجها إلى رحله»[١].

«ونادى ابن سعد: ألا من ينتدب إلى الحسين فيوطىء الخيل صدره وظهره، فقام عشرة. منهم أسحاق بن حوية، والاحبش بن مرثد بن علقمة بن سلمة الحضرمي، وحكيم بن الطفيل السنبسي، وعمرو بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خثيمة الجعفي، وصالح بن وهب الجعفي، وواخط بن غانم، وهانى بن ثبيت الحضرمي، وأسيد بن مالك، فداسوا بخيولهم جسد ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله! وأقبل هؤلاء العشرة إلى ابن زياد يقدمهم أسيد بن مالك يرتجز:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شدد الأسر

فأمر لهم بجائزة يسيرة»[٢].

وأمر ابن سعد بالرؤوس فقطعت واقتسمتها القبائل لتتقرب إلى ابن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر وصاحبهم قيس بن الاشعث، وجاءت هوازن باثني عشر وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر، وبنو أسد بستة عشر، ومذحج بسبعة، وجاء آخرون بباقي الرؤوس. ومنعت عشيرة الحر الرياحي من قطع رأسه ورض جسده.

وسرح ابن سعد في اليوم العاشر رأس الحسين مع خولي بن يزيد الاصبحي، وحميد بن مسلم الازدي، وسرح رؤوس أهل بيته وصحبه مع الشمر وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج.

وكان منزل خولي على فرسخ من الكوفة. فأخفى الرأس عن زوجته

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

الأنصارية لما يعهده من موالاتها لأهل البيت ﵈، إلّا أنّها لمّا رأت من التنور نوراً راعها ذلك اذ لم تعهد فيه شيئاً، فلما قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين بأشجى ندبة، فحدثت زوجها وخرجت باكية ولم تكتحل ولم تتطيّب حزناً على الحسين وكان اسمها العيوف.

وعند الصباح غدا بالرأس إلى قصر الاماة وقد رجع ابن زياد في ليلته من معسكره بالنخيلة فوضع الرأس بين يديه وهو يقول:

املأ ركابي فضة أو ذهبا انـي قـتلت السـيد المحجبا
وخيرهم من يذكرون النسبا قتلت خير الناس أماً وأبا

فساد ابن زياد قوله أمام الجمع فقال له: اذا علمت أنه كذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت مني شيئاً[1].

ولمّا سيّر ابن سعد الرؤوس إلى الكوفة أقام مع الجيش إلى الزوال من اليوم الحادي عشر، فجمع قتلاه وصلى عليهم ودفنهم، وترك سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الاكرم ومن معه من أهل بيته وصحبه بلا غسل ولا كفن ولا دفن، تسفي الصبا ويزورهم وحش الفلا.

وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب، وكنّ عشرين امرأة، وسيروهن على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبي الترك والروم وهن ودائع خير الانبياء، ومعهن السجاد علي ابن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنة وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد انهكته العلة، ومعه ولده الباقر وله سنتان وشهور، ومن أولاد الإمام الحسن المجتبى زيد وعمرو، وأما الحسن المثنى فانه أخذ أسيراً بعد أن قتل

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

سبعة عشر رجلاً وأصابته ثمان عشرة جراحة وقطعت يده اليمنى، فانتزعه أسماء بن خارجة الفزاري (أم المثنى) فزارية، فتركه ابن سعد له، وكان معهم عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة الحسين، ولما أخبر ابن زياد بأنه مولى للرباب خلىٰ سبيله، وأخبر ابن زياد بأن الموقع بن ثمامة الاسدي نثر نبله وقاتل، فآمنه قومه وأخذوه، فأمر بنفيه إلىٰ (الزارة)[1].

٥ - مظاهر فقدان الإرادة

لقد كانت ظاهرة فقدان الإرادة واضحة علىٰ مستوى الأُمة والجماعة بشكل عام، ولكنها كانت في نفس الوقت ظاهرة علىٰ مستوى بعض القادة والأشخاص المهمين في المجتمع الإسلامي أيضاً.

وقد وردت عدة نصوص تؤكد وجود هذه الظاهرة في الأُمة، بحيث أدركها بعض المراقبين للحركة السياسية حينذاك علىٰ مستوى أهل الكوفة علىٰ الأقل[2].

فقد كان هذا تقييم الفرزدق بن غالب الشاعر عندما سأله الحسين عن خبر الناس في الكوفة، فقال الفرزدق: «قلوبهم معك والسيوف مع بني أمية،

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) وأما غير أهل الكوفة فلم يمروا بتجربة الإمام الحسين ﷺ بشكل مباشر، إلّا أنّ بعض النصوص والحوادث التأريخية تشير إلىٰ أنّ ظاهرة موت الضمير كانت هي السائدة في أهل الشام وأهل البصرة في ذلك العصر. ولعله كذلك في أهل مكة وقطاعات واسعة من أهل المدينة. ولذا لم يجد الحسين ﷺ من يكاتبه ويناصره مثل أهل العراق في البلاد الإسلامية الأُخرىٰ. وهذا الموضوع يحتاج إلىٰ بحث ومتابعة واسعة.

والقضاء ينزل من السماء»[١].

وكذلك تقييم بشر بن غالب حيث استخدم نفس هذا التعبير أيضاً: «السيوف مع بني أمية والقلوب معك». كل ذلك قبل أن يبلغ الحسين مقتل مسلم بن عقيل. وكذلك كان هذا رأي أربعة نفر من أهل الكوفة - قاتلوا مع الحسين بعد ذلك - حيث أخبروه بأن: «الأشراف عظمت رشوتهم وقلوب ساير الناس معك والسيوف عليك....»[٢].

ونشير إلى بعض الشواهد والمصاديق لهذه الظاهرة على مستوى الأُمة والجماعة، وعلى مستوى الافراد والشخصيات.

أ - على مستوى الأمة

الأول: موقف الناس من دعوة الحسين عليه السلام للنهوض ومطالبتهم له بذلك من خلال المراسلة والكتب[٣]، ومن خلال إرسال الأشخاص والرسل، ومن خلال بيعتهم لمسلم بن عقيل حيث بايعه أكثر من ثمانية عشر ألف شخص في الكوفة.

«وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً، وقيل:

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ١٧٤ عن الطبري وابن الأثير والإرشاد للمفيد.

(٢) المقتل: ص ١٨٧ عن الطبري.

(٣) جاء في حديث بجير من أهل الثعلبية: قال: مرّ الحسين بنا وأنا غلام فقال له أخي: يا ابن بنت رسول الله أراك في قلة من الناس، فأشار بالسوط إلى حقيبة الرجل وقال هذه مملوءة كتباً - المقتل: ص ١٧٩ عن سير أعلام النبلاء.

وكذلك حديث الحسين مع الحر عندما قال له: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها، فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملوئين كتباً - المقتل: ص ١٨٣ وكان الحسين عليه السلام يتحدث عن ذلك في عدة مواضع أيضاً.

بلغ خمساً وعشرين ألفاً. وفي حديث الشعبي، بلغ من بايعه أربعين ألفاً، فكتب مسلم إلى الحسين مع عابس بن شبيب الشاكري يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته وانتظارهم لقدومه، وفيه يقول: الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي»[١].

وعندما دخل ابن زياد الكوفة متنكراً ظنّ الناس أنّه الحسين(ع) فاستقبلوه بهتاف واحد: مرحباً يابن رسول الله. فساءه هذا الحال وانتهى إلى قصر الإمارة فلم يفتح النعمان[٢] باب القصر، وأشرف عليه من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤد اليك أمانتي يابن رسول الله. فقال له ابن زياد: افتح فقد طال ليلك. فسمعها رجل وعرفه، فقال للناس: إنه ابن زياد ورب الكعبة[٣].

ويبدو هذا الموضوع أكثر وضوحاً اذا لاحظنا محاولات أهل الكوفة ومعهم مسلم بن عقيل لنصرة هاني بن عروة عندما اعتقله ابن زياد.

«وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قتل وكانت أخته روعة تحت هاني، وهي أم يحيى بن هاني. فأقبل في جمع من مذحج وأحاط بالقصر، فلما علم به ابن زياد أمر شريح القاضي أن يدخل على هاني ويعلمهم بحياته، قال شريح: لمّا رآني هاني صاح بصوت رفيع: يا للمسلمين ان دخل عليّ عشرة أنقذوني، فلو لم يكن معي حميد بن أبي بكر الاحمري وهو شرطي لا بلغت أصحابه مقالته، ولكن قلت: انه حي، فحمد الله عمرو بن الحجاج وانصرف بقومه.

(١) المقتل: ص ١٤٨ عن الطبري وغيره من المؤرخين.

(٢) النعمان بن بشير هو والي يزيد على الكوفة قبل ابن زياد.

(٣) المقتل: ص ١٤٩ - ١٥٠ عن الطبري.

ولما بلغ مسلماً خبر هاني خاف أن يؤخذ غيلة فتعجل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين الناس، وأمر عبد الله بن حازم أن ينادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، فاجتمع إليه أربعة آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت).

ثم عقد لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي على الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال، وعقد لابي ثمامة الصائد على ربع تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة.

وأقبلوا نحو القصر فتحرز ابن زياد فيه وغلق الأبواب، ولم يستطع المقاومة لأنه لم يكن معه إلّا ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من الأشراف ومواليه، لكن نفاق أهل الكوفة وما جبلوا عليه من الغدر لم يدع لهم (علماً)، يخفق، فلم يبق من الأربعة آلاف إلّا ثلثمائة.

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالمومسة تريد كل يوم بعلا.

ولما صاح من في القصر: يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام فقد ذقتموهم وجربتموهم، فتفرّق هؤلاء الثلثمائة حتى أنّ الرجل يأتي ابنه وأخاه وابن عمه فيقول له: انصرف، والمرأة تأتي زوجها فتتعلّق به حتى يرجع.

فصّلى مسلم عليه السلام العشاء بالمسجد ومعه ثلاثون رجلاً ثم انصرف نحو كندة ومعه ثلاثة، ولم يمض إلّا قليلاً واذا لم يشاهد من يدله على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلدداً في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجه.

ولما تفرّق الناس عن مسلم وسكن لغطهم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال، أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل

كمنوا فيها، فكانوا يدلون القناديل ويشعلون النار في القصب ويدلونها بالحبال إلىٰ أن تصل إلىٰ صحن الجامع فلم يروا أحداً، فأعلموا ابن زياد، وأمر مناديه أن ينادي في الناس ليجتمعوا في المسجد، ولما امتلأ المسجد بهم رقى المنبر وقال: إنّ ابن عقيل قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق فبرأت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته فاتقوا الله عباد الله وألزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا علىٰ أنفسكم سبيلاً.

ثم أمر صاحب شرطته الحصين بن تميم أن يفتش الدور والسكك، وحذره بالفتك به إن أفلت مسلم وخرج من الكوفة.

فوضع الحصين الحرس علىٰ أفواه السكك، وتتبع الاشراف الناهضين مع مسلم، فقبض علىٰ عبد الاعلىٰ بن يزيد الكلبي وعمارة بن صلخب الازدي فحبسهما ثم قتلهما، وحبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم، وفيهم الأصبغ ابن نباتة والحارث بن الاعور الهمداني.

وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى (خطوانية) فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبد الله بن الحارث راية حمراء، وركز المختار رايته علىٰ باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن أمنع عمراً، ووضح لهما قتل مسلم وهاني وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه، وبقيا في السجن إلىٰ أن قتل الحسين عليه السلام.

وأمر ابن زياد بن الاشعث وشبث بن ربعي والقعقاع بن شور الذهلي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وعمرو بن حريث أن يرفعوا راية

الأمان ويخذلوا الناس»(١).

الثاني: موقف الحر بن يزيد الرياحي وأصحابه عند لقائه بالإمام الحسين عليه السلام، حيث كانوا يستمعون إلىٰ خطبة ونصائحه وحججه وقد تأثروا بها إلىٰ حدٍّ كبير، حتى أنهم صلّوا مع الحسين عليه السلام بإمامته وهم قد خرجوا لمحاصرته ومنعه من الرجوع إلىٰ مكة أو المدينة، ولكنهم بالرغم من كل ذلك لم يملكوا إرادتهم مع وضوح الموقف لديهم(٢)، إلّا الحر بن يزيد الرياحي - الذي لم يكن قد راسل الحسين - تمكن من أن يختار الجنة، كما قال ذلك عندما قال له صاحبه المهاجر بن أوس وقد رآه يرتعد في يوم عاشوراء: «ما هذا الذي أراه منك ولو سألت من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك؟! قال الحرّ: إني أخيرّ نفسي بين الجنّة والنار، والله لا أختار الجنّة شيئاً ولو أحرقت، ثمّ ضرب جواده نحو الحسين»(٣).

الثالث: موقف جيش عبيد الله بن زياد والقبائل من قتل الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فبالرغم من الجرائم الوحشية التي ارتكبها قادة هذا الجيش وبعض الجلاوزة المجرمين، الامر الذي أدى إلىٰ قتل جميع أصحاب الحسين وأهل بيته وحتى الفتيان والأطفال كما عرفنا. نجد هذا الجيش يتردد في بعض الاحيان في ارتكاب جريمة قتل الحسين أو يتقاعس عن القتال والنزال.

وقد صوّر بعض المؤرخين هذا الموقف بقولهم: «وبقي الحسين

(١) المقتل: ص ١٥٥ - ١٥٨ عن الطبري وغيره من المؤرخين.

(٢) المقتل: ص ١٨٣.

(٣) المقتل: ص ٢٣٦.

مطروحاً ملياً ولو شاءوا أن يقتلوه لفعلوا إلاّ أنّ كل قبيلة تتكل على غيرها وتكره الاقدام»[١].

ويؤكد هذه الحقيقة طول المعاناة التي مرت بالحسين عليه السلام وهو طريح على أرض المعركة حتى قام شمر بن ذي الجوشن بهذه الجريمة الشنيعة[٢].

ب ـ على مستوى القادة

وأما ظاهرة فقدان الإرادة على مستوى القادة والشخصيات فيمكن أن نلاحظها في عدد منهم، ولكن هنا نشير إلى نماذج ثلاثة مهمة، يعتبر كل واحد منها عن بعد وسبب قد يختلف عن الآخر، وإن كانت بأجمعها تمثل حالة فقدان الإرادة في هؤلاء الاشخاص.

الأول: (عمر بن سعد بن أبي وقاص) الذي وقف والده على الحياد في المعركة بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية، وان كان أفصح عن رأيه في أنّ الحقّ مع عليّ عليه السلام في هذه المعركة. وأما عمر بن سعد فقد كان منذ البداية من أنصار الأُمويين ويركض وراء المناصب والأموال، ولكنه كان متردداً في موضوع قتال الحسين وتحمل مسؤولية قيادة المعركة.

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبد الله الحسين عليه السلام في جواب كتابه: **«ما له عندي جواب لأنّه حقّت عليه كلمة العذاب»** فاشتدّ غضبه وأمر ابن سعد بالخروج إلى كربلاء، وكان معسكراً (بحمام أعين) في أربعة آلاف ليسير بهم إلى (دستبي) لأن الديلم غلبوا عليها، وكتب له ابن زياد عهداً

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام المقرم: ص ٢٨١ عن الاخبار الطوال والخطط المقريزية.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.

بولاية الري وثغر دستبي والديلم، فاستعفاه ابن سعد ولمّا استرد منه العهد استمهله ليلته، وجمع عمر بن سعد نصحائه فنهوه عن المسير بحر الحسين وقال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة: أنشدك الله أن لا تسير لحرب الحسين فتقطع رحمك وتأثم بربك، فو الله لئن تخرج من دنياك ومالك، وسلطان الأرض كله لو كان لك، لكان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين.

فقال ابن سعد: افعل ان شاء الله، وبات ليلته مفكراً في أمره، وسمع يقول:

أأترك ملك الري والري رغبتي   أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها   حجاب وملك الري قرة عيني

وعند الصباح أتى ابن زياد وقال: إنك وليتني هذا العمل وسمع به الناس فأنفذني له وابعث إلى الحسين من لست أغنى في الحرب منه، وسمى له أناساً من أشراف الكوفة.

فقال ابن زياد: لست أستأمرك فيمكن أريد أن أبعث، فان سرت بجندنا وإلّا فابعث الينا عهدنا، فلما رآه ملحاً قال: إني سائر، فأقبل في أربعة آلاف وأنظم اليه الحر في من معه، ودعا عمر بن سعد عزرة بن قيس الاحمسي وأمره أن يلقى الحسين ويسأله عما جاء به فاستحيا عزرة لانه ممن كاتبه، فسأل من معه من الرؤساء أن يلقوه فأبوا لأنهم كاتبوه.

فقام كثير بن عبد الله الشعبي وكان جريئاً فاتكاً وقال: أنا له وان شئت أن أفتك به لفعلت، قال: لا ولكن سله ما الذي جاء به، فأقبل كثير وعرفه أبو ثمامة الصائدي، فقام في وجهه وقال: ضع سيفك وادخل على الحسين، فأبى واستأبى ثم انصرف.

فدعا عمر بن سعد قرة بن قيس الحنظلي ليسأل الحسين، ولما أبلغه رسالة ابن سعد، قال أبو عبد الله: إنّ أهل مصركم كتبوا إليّ أن أقدم علينا، فأما

اذا كرهتموني انصرفت عنكم.

فرجع بذلك إلىٰ ابن سعد وكتب إلىٰ ابن زياد بما يقول الحسين، فأتاه جوابه: أما بعد فاعرض علىٰ الحسين وأصحابه البيعة ليزيد، فان فعل رأينا رأينا»(١).

وبقى ابن سعد يحاول التخلص من هذا الموقف حتى أنه افتعل علىٰ الحسين عليه السلام ما لم يقله وكتب إلىٰ ابن زياد زعماً منه أنه في ذلك صلاح الأُمة وجمال النظام، فقال في كتابه:

«أما بعد فإنّ الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأُمة، وهذا حسين أعطاني أن يرجع إلىٰ المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلىٰ ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبين رأيه، وفي هذا رضاً لكم وللأمّة صلاح»(٢).

ولمّا قرأ ابن زياد كتاب ابن سعد قال: هذا كتاب ناصح مشفق علىٰ قومه، وأراد أن يجيبه فقام الشمر وقال: أتقبل هذا منه بعد أن نزل بأرضك؟! والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة وتكون أولى بالضعف والوهن، فاستصوب رأيه وكتب إلىٰ ابن سعد:

«أما بعد إني لم أبعثك إلىٰ الحسين لتكف عنه ولا تطاوله ولا لتمنيه السلامة ولا لتكون له عندي شفيعاً، انظر إن نزل الحسين وأصحابه علىٰ حكمي فابعث بهم إليّ سلماً، وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم،

(١) المقتل: ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) المقتل: ص ٢٠٦ عن الإتحاف بحب الأشراف وتهذيب التهذيب.

فإنهم لذلك مستحقون، فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، ولست أرى أنه يضر بعد الموت ولكن على قول قلته لو قتلته لفعلت هذا به، فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وان أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فأنا قد أمرناه بذلك.

فلما جاء الشمر بالكتاب قال له ابن سعد: ويلك لا قربَ الله دارك وقبح الله ما جئت به، واني لاظن أنك الذي نهيته وأفسدت علينا أمراً رجونا أن يصلح، والله لا يستسلم الحسين فإن نفس أبيّه بين جنبيه.

فقال الشمر: أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك؟ وإلّا فخل بيني وبين العسكر، قال له عمر: أنا أتولى ذلك ولا كرامة لك، ولكن كن أنت على الرجالة»[1].

الثاني: (شبث بن ربعي) حيث كان هذا الإنسان قد تقلّب في مواقفه السياسية كما يدل عليه تاريخه، وقد كان من أصحاب الإمام علي ﷺ ولكن بتردد وضعف، وكان شيخاً كبيراً يحب الجاه والمناصب، وراسل الحسين عندما رآى هو أهل الكوفة معه، ومع ذلك فعندما طرح عليه الخروج إلى حرب الحسين تمارض وأخذ يتهرّب من ذلك، وبقي يحاول دائماً التهّرب وعدم المشاركة الفعلية في القتال والاكتفاء بالحضور المعنوي إلى جانب ابن زياد وجيشه، بالرغم من أنّه أحد القادة الاربعة الرئيسيين، حيث كان قد وضعه ابن زياد قائداً للرجّالة. ويمكن رؤية موقفه وصورته من خلال النصوص التالية:

---

(1) المقتل: ص ٢٠٧ - ٢٠٨، عن الطبري وابن الأثير.

«وخرج ابن زياد إلىٰ النخيلة وعسكر فيها وبعث إلىٰ الحصين بن نمير التميمي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي، وأمرهم بمعاونة ابن سعد فاعتلّ شبث بالمرض، فأرسل اليه أنّ رسولي يخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين: ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلو إلىٰ شياطينهم قالوا إنّا معكم انما نحن مستهزءون**﴾، فإن كنت في طاعتنا فأقبل مسرعاً، فأتاه بعد العشاء لئلا ينظر إلىٰ وجهه فلم يجد عليه أثر العلّة، ووافقه علىٰ ما يريد»[١].

بل كان شبث يحتج علىٰ بعض المواقف الحادة التي يراها من قبل بعض القادة أمثال شمر بن ذي الجوشن كما عرفنا سابقاً. وكان يزيد في بعض الأحيان يصرّح ببطلان موقف عبيد الله بن زياد وجيشه وانحرافهم، كما تشير بعض النصوص التأريخية.

«ثم حمل عمرو بن الحجاج ـ وكان علىٰ الميمنة من نحو الفرات ـ فاقتتلوا ساعة وفيها قاتل مسلم بن عوسجة، فشدّ عليه مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الله بن خشكاره البجلي، وثارت لشدة الجلاد غبرة شديدة وما انجلت الغبرة إلّا ومسلم صريع وبه رمق، فصاحت جارية له وامسلماه، يا سيداه، يا ابن عوسجتاه، فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلماً.

فقال شبث بن ربعي لمن حوله: ثكلتكم أمهاتكم، أيقتل مسلم وتفرحون؟! لربّ موقف له كريم في المسلمين رأيته يوم (آذربيجان) وقد قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين».

«وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين بالرمح وقال عليّ بالنار لاحرقه علىٰ أهله فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط. وناداه الحسين: يا

---

(١) المقتل: ص ١٩٩ عن البحار عن مقتل محمد بن أبي طالب.

ابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار! وقال له شبث بن ربعي: أمرعباً للنساء صرت؟ ما رأيت مقالاً أسوأ من مقالك وموقفاً أقبح من موقفك فاستحي وانصرف»[1].

«ولما رأى عزرة بن قيس وهو على الخيل الوهن في أصحابه والفشل، بعث إلى عمر بن سعد يستمده الرجال، فقال ابن سعد لشبث بن ربعي: ألا تقدم اليهم، قال: يا سبحان الله تكلّف شيخ المصر وعندك من يجزي عنه، ولم يزل شبث بن ربعي كارهاً لقتال الحسين وقد سمع يقول: قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ولده وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية، ضلال يا لك من ضلال! والله لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد»[2].

الثالث: (عبيد الله بن الحر الجعفي) وكان عثماني العقيدة -كما يذكر بعض المؤرخين - ومن زعماء العرب، ولكنه مع ذلك لما اكتشف ظلم الأُمويين وعدوانهم حاول منذ البداية أن يتجنب حرب الحسين، فخرج من الكوفة هرباً وتخلصاً من ابن زياد، ولكنه التقى الحسين في الطريق، وعرض عليه الحسين نصرته فأبى مع أنه يعرف الحقيقة كلها، ثم ندم بعد ذلك.

وهذه هي قصته:

«وسار الحسين ﷺ من عذيب الهجانات حتى نزل قصر بني مقاتل، فرأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركوزاً وفرساً واقفاً، فسأل عنه، فقيل هو

(١) المقتل: ص ٢٤٢.

(٢) المقتل: ص ٢٤٢ - ٢٤٣ عن الطبري.

لعبيد الله ابن الحر الجعفي، فبعث اليه الحجاج بن مسروق الجعفي، فسأله ابن الحر عمّا وراءه، قال: هدية اليك وكرامة إن قبلتها، هذا الحسين يدعوك لنصرته فان قاتلت بين يديه أجرت، وان قتلت استشهدت، فقال ابن الحر: والله ما خرجت من الكوفة إلّا لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمت أنه مقتول، ولا أقدر على نصره، ولست أحب أن يراني وأراه.

فأعاد الحجاج كلامه على الحسين، فقالم صلوات الله عليه ومشى اليه في جماعة من أهل بيته وصحبه فدخل عليه الفسطاط، فوسع له عن صدر المجلس، يقول ابن الحر: ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين ولا أملأ للعين منه، ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله، ونظرت إلى لحيته فرأيتها كأنها جناح غراب، فقلت له: أسواد أم خضاب؟ قال: يا ابن الحر عجّل عليّ الشيب، فعرفت أنّه خضاب.

ولما استقرّ المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه، يا ابن الحر إنّ أهل مصركم كتبوا إليّ أنهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا، وأنّ عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحوا بها ذنوبك؟

قال: وما هي يا ابن رسول الله؟

فقال: تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله اني لاعلم أنّ من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة فإنّ نفسي لا تسمح بالموت! ولكن فرسي هذه (الملحقة) والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلّا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلّا سبقته، فخذها فهي لك.

قال الحسين عليه السلام: أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك، وماكنت متخذ المضّلين عضدا، واني أنصحك كما نصحتني إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل، فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلّا أكبّه الله في نار جهنّم.

وندم ابن الحر على ما فاته من نصرة الحسين عليه السلام فأنشأ:

فيالك حسرة ما دمت حيا تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولا أتتركنا وتعزم بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حر لهم اليوم قلبي بانفلاق
ولو واسيته يوماً بنفسي لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن محمد تفديه نفسي فودع ثم أسرع بانطلاق
لقد فاز الأُولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون ذوو النفاق»[1].

ويشبه هذا الموقف موقف عمرو بن قيس المشرقي وابن عمه، الذين التقاهما الحسين عليه السلام أيضاً في نفس هذا الموضع وطلب منهما النصرة فاعتذروا بالعيال وأمانات الناس، فنصحهما الحسين عليه السلام بالابتعاد عن أرض المعركة[2].

إنّ هؤلاء الاشخاص بالرغم من معرفتهم للحقيقة وكرههم لقتال الحسين وادراكهم للمصير الأسود، وكذلك المصير الذي سوف ينال قتلة الحسين ومحاربيه أو المتخاذلين عن نصرته، ويدركون لاجل ذلك بدرجات متفاوتة

(١) المقتل: ص ١٨٨ – ١٩٠ عن جماعة المؤرخين والمحدثين.

(٢) المقتل: ص ١٩٠.

السعادة الأبدية للشهادة بين يديه.

وكانوا يعرفون ظلم بني أمية وطغيانهم، إلّا أنهم بالرغم من كل ذلك اختاروا طريقاً آخر لا ينسجم مع هذه المعرفة بسبب الخوف أو الطمع والاغراء وحب الدنيا ومرض القلب والضمير وفقدان الإرادة.





ثورة الحسين

إيقاظ الأُمّة وتحرير إرادتها


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لقد كان لحركة الإمام الحسين‌ؑ ونهضته دور كبير في أن تملك الأُمة إرادتها وأن تتحرك بالاتجاه الصحيح، كما أشرنا إلىٰ ذلك في المحاضرة الأُولى.

حيث نجد بعد عام من ثورة الحسين‌ؑ أنّ المدينة المنورة تثور علىٰ يزيد، وتطرد واليه وجميع الأُمويين، بحيث يضطرون للجوء إلىٰ الإمام زين العابدين‌ؑ لحمايتهم، ولا يتمكن أن يصنع يزيد شيئاً أمام هذه الثورة، حتى يبعث بجيش الشام للقضاء عليها ويستبيح المدينة ثلاثة أيام بعد أن قتل أبناء المهاجرين والأنصار فيها.

وهذا كله في حين أنّ المدينة لم تكن مستعدة لاحتضان ثورة الحسين‌ؑ قبل عام، بحيث يضطر الإمام‌ؑ إلىٰ الخروج منها إلىٰ مكة ومن ثم إلىٰ الكوفة.

وفي السنة الثانية تثور مكة المكرمة أيضاً علىٰ يزيد الطاغية، فيقوم المجرم بعمل وحشي وهو هدم الكعبة الشريفة بعد أن يحاصرها لفترة من الزمن.

ويصبح حكم الأُمويين مهدداً بالسقوط بعد موت يزيد، ونمو وتطور حركة عبد الله بن الزبير، والمختار بن عبيدة الثقفي.

بعد ذلك أخذت الثورات تتوالى حيث ظهرت ثورة (التوابين)، والتي تعتبر أثراً مباشرة لثورة الحسين‌ؑ، حيث كانت شعاراتهم يالثارات الحسين، والتي تمكنت من أن تزعزع الجيش الاموي وتطرده من الكوفة،

ولم تهدأ هذه الثورة حتى تكون ثورة المختار والذي قام من أجل أخذ الثار لدماء الحسين عليه السلام.

ويتمكن المختار من عمل عسكري مهم وعمل سياسي أهم، أما العمل العسكري فهو القضاء على الجيش الأُموي وقتل عبيد الله بن زياد كان يقود هذا الجيش.

والعمل السياسي هو تصفية الكوفة من جميع قتلة الحسين عليه السلام ومن أنصار الأُمويين.

وقد استمّر هذا التحرك والرفض في الأُمة حتى تمت الاطاحة بالحكم الاموي بعد عدة عقود من الزمن.

وأصبح وعي الأُمة ويقظة الضمير فيها وقوة الإرادة لديها إلى درجة لم تسمح فيه بقيام الحكم (القيصري) أو (الكسروي) مهما تجبرّ الحاكم واستهتر أو ارتكب من الظلم والجرائم، حيث كان يواجه في كل هذه الحالات بالرفض، والمطالبة من الأُمة بتطبيق حكم الإسلام وتحقيق العدل في صفوفها. ويكون الحاكم الجائر معزولاً عن الأُمة ومرفوضاً من قبلها بشكل دائم.

والشواهد التاريخية على هذه الحقيقة كثيرة، يجدها الباحث في حركات المقاومة في عصر العباسيين والعثمانيين.

كما نجدها أيضاً في هذا الاجماع المطلق لدى الأُمة بقبول وتمجيد ثورة الحسين عليه السلام، بالرغم من محاولات الامويين وأزلامهم وأتباعهم تشويه خلفيات هذه الثورة أو التشكيك في شرعيتها ومبرراتها.

وسائل العلاج لموت الضمير وفقدان الإرادة

ولكن السؤال هنا أنه ما هي النقاط والوسائل التي أكد عليها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته وكان لها هذا الدور والتأثير البالغ في (ضمير الأُمة) و(إرادتها)، ثم كان لها هذا التأثير البالغ في جميع الأجيال والعصور؟!

لقد ذكرنا سابقاً[1] أنّ (عمق المأساة) و(حجم الفاجعة) وتفاصيلها و(التصميم) والإرادة خلفها و(التخطيط الرائع) في تنفيذها كان له الدور الأساس في ذلك.

وهنا نحتاج أن نشير إلى النقاط ذات العلاقة بمعالجة أسباب موت الضمير وفقدان الإرادة التي يمكن أن نتبينها من خلال تفاصيل الاحداث، وكيفية صنعها وتنفيذها لتتكامل لدينا (الصورة النظرية) في فهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

١ ـ العلاج في مجال القلب والضمير

أما بالنسبة إلى السبب الأول من أسباب موت الضمير وقسوة القلب وهو انهيار القاعدة الاخلاقية، فقد وجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام أكد في مجمل ثورته وحركته على (الجانب الاخلاقي) في الالتزامات والعهود والمواثيق

---

(١) المحاضرة الأُولى.

وفي السلوك العام تجاه أصحابه وأعداءه وتجاه الامّة بشكل عام، والذي يمكن أن نجد تفاصيلها في جميع خطواته.

فهو لم يستخدم المناورة (النفاقية) تجاه الدعوة لبيعة يزيد أو التهرب منها، كما صنع الآخرون أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن أبي بكر وغيرهم، بل لبىّ دعوة والي المدينة وهناك تحدث بصراحة عن رأيه في رفضها تجاه هذه الدعوة.

وفي مكة لم يتحرك إلى العراق إلّا بعد أن أخذ المواثيق والعهود والبيعة، وكان تحركه استجابة للمسؤولية المترتبة على نداء الامّة وطلبها(١).

ثم لما تبيّن له نقض بعض المبايعين وتدهور الاوضاع كان صريحاً مع أصحابه ومرافقيه الذين جاءوا معه من مكة حتى لو أدى ذلك إلى تفرّق الكثير منهم عنه.

كما أنه كان في نفس الوقت ملتزماً بعهده مع أهل الكوفة(٢).

---

(١) تحدث الحسين في جيش الحر الرياحي، فحمد الله وأثنى عليه وقال: انها معذرة إلى الله عز وجل واليكم واني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت بها علي رسلكم، أن أقدم علينا فانه ليس لنا إمام ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فان كنتم على ذلك فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وان كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه اليكم.

(٢) قال الطرماح للحسين عليه السلام: رأيت الناس قبل خروجي من الكوفة مجتمعين في ظهر الكوفة فسألت عنهم، قيل انهم يعرضون ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدك الله أن لا تقدم عليهم فاني لا أرى مع أحداً ولو لم يقاتلك إلّا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى.

ولكن سر معنا لتنزل جبلنا الذي يدعى (أجا) فقد امتنعنا به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الاسود والاحمر، فو الله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيء رجالاً وركباناً، وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم إلى أن يستبين لك ما أنت صانع.

←

وهكذا نجد هذا (الجانب الاخلاقي) في ما قام به الحسين ﷺ من سقي جيش الحر بن يزيد بالماء(١)، والتزام مسلم بن عقيل ﷺ بعدم (الفتك) وعدم اغتياله لعبيد الله بن زياد مع وجود الفرصة لذلك، وعدم البدأ بالقتال مع أصحاب الحر، وكذلك في يوم عاشوراء، بالاضافة إلى صفات الإيثار والصبر والشجاعة والنصيحة، وسعة الصدر، وتحمل المسؤولية، والتعالي عن الصغائر، وغير ذلك من السلوك الأخلاقي الذي لا يفسح المجال أو يفتح أي ثغرة (أخلاقية) في طريقة التعامل، ونجد معالم هذا السلوك في مختلف مراحل المسيرة منه ومن أصحابه، خصوصاً موقفهم عندما استعرض رأيهم في ليلة عاشوراء وطلب منهم الاستفادة من الليل.

← فجزاه الحسين وقومه خيراً، وقال: إنّ بيننا وبين القوم عهداً وميثاقاً ولسنا نقدر على الانصراف حتى تصرّف بنا وبهم الأمور في عاقبة.

وقد تحدث الحسين ﷺ في أصحاب الحر فقال: وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فان أتممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم ولكم فيّ أسوة، وان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغترّ بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فانما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) لما رأى سيد الشهداء ﷺ ما بالقوم (أصحاب الحر الرياحي) من العطش أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل فسقوهم وخيولهم عن آخرهم. ثم أخذوا يملؤون القصاع والطساس ويدنونها من الفرس فاذا عبّ فيها ثلاثة أو أربعاً أو خمساً عزلت وسقي آخر حتى سقوا الخيل كلها.

وكان علي بن الطعان المحاربي مع الحر فجاء آخرهم وقد أضرّ به العطش، فقال الحسين: أنخ الراوية وهي الجمل بلغة الحجاز فلم يفهم مراده، فقال له: أنخ الجمل، ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من السقاء، فقال له (ريحانة الرسول): أخنث السقاء، فلم يدر ما يصنع لشدة العطش فقام ﷺ بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه.

هذه الأُمور وغيرها التي كانت ولا زالت تمثل دروساً في الأخلاق الإنسانية وتشكل خطاً واضحاً في حركة الحسين(ع) وفي أهدافه من النهضة.

***

وأما السبب الثاني من أسباب موت الضمير هو (حب الدنيا) والانغماس في الشهوات ،فنجد الإمام الحسين(ع) يؤكد في مختلف مواقفه وخصوصاً في أحاديثه مع أهل الكوفة لمعالجة هذا السبب.

سواء في التأكيد على (بعد) حتمية الموت، وانه قدر الهي لا يمكن للانسان أن يتصرف فيه: **«خطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»**.

أو في التأكيد على التقلب والتصرف والتغيّر في الدنيا ولذاتها وزخرفها. كما نلاحظ ذلك بشكل واضح في خطابه الأول مع أهل الكوفة.

أو في التأكيد على الانتقام الالهي من أولئك المنغمسين في الدنيا وشهواتها والناقضين لعهود الله تعالى. وان ذلك سنة من سنن التأريخ، وعهد عهده اليه جده وأبوه.

أو في اعطاء المفاهيم والشعارات التي تزهد في الدنيا: **«الموت أولى من ركوب العار» «لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما»**.

والمهم في كل ذلك هو تجسيد كل هذه المفاهيم عملياً وواقعياً - هو وأصحابه - ومن مواقع القدرة على الوصول إلى نعيم الدنيا الزائل والحصول عليه، والتنازل عمّا كان لديه من كل هذا المال والجاه عملياً وواقعياً. حيث كانت الفرصة مفتوحة أمامه لذلك، وكان تحت يده امكانات واسعة تحدثت النصوص التأريخية عنها في سفره إلى العراق.

٢ - العلاج في مجال الإرادة:

أ - وأما في مجال أسباب فقدان الإرادة فقد كان الإمام الحسين ﷺ يعرف منذ البداية أن الحكم اليزيدي والحقد الاموي وسلوك المجموعة الشريرة التي تحيط بيزيد - بالاضافة إلى ماكان لديه من معلومات غيبية موروثة عن جده رسول الله ﷺ - كل ذلك سوف يؤدي بالامويين إلى أن يرتكبوا أفضع الجرائم ويستخدموا أشنع الاساليب في الضغط عليه.

ولذلك نراه يحتاط لكل الأُمور، ومنها استصحابه للنساء والأطفال من أهل بيته لئلا يتم استخدامهم كرهائن للضغط عليه ولمواصلة الموقف الرافض من خلالهم بعد استشهاده.

وانطلاقاً من ذلك نجد الإمام الحسين ﷺ يعالج السبب الأول وهو الارهاب والقمع، بالصبر والصمود والاستعانة بالله تعالى.

ولعل أروع نص يعبر عن هذه الرؤية وهذا الخط من العلاج هو خطبته عند الخروج من مكة متوجهاً لأرض العراق، علماً بأن تطورّ الاحداث حتى ذلك الوقت كان لصالح الإمام الحسين ﷺ.

فقد قال ﷺ: **«الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلّا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني اكراشاً جوفاً وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقرّبهم عينه وينجز بهم وعده.**

ألا من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فأني راحل مصبحاً

إن شاء الله تعالى»(١).

واستمر هذا الموقف منه طيلة الرحلة إلى كربلاء بالرغم من تطور الاوضاع سلبياً. كما أنّ موقفه في يوم عاشوراء منذ البداية وحتى النهاية يعبرّ عن هذا الموقف وهذه المفاهيم قولاً وعملاً.

حيث خطب في صبيحة يوم عاشوراء قبل بدأ القتال، فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «**ان الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال**»(٢).

كما عبرّ منذ البداية عن الثقة بالله والتوكل عليه من خلال دعائه الأول يوم عاشوراء.

كماكان يستشهد في مواقفه بالآيات الكريمة:

﴿فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾.

أو قوله تعالى: **﴿اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم﴾**.

كما أنّ أروع النصوص التي تعبر عن هذا الموقف يوم عاشوراء هو دعاؤه بعد أن سقط على الأرض صريعاً وقد اشتدّ به الحال:

«اللهم متعال المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلايق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب اليك، قادر على ما أردت، تدرك ما

---

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ص ١٦٦.

(٢) مقتل الحسين، للمقرم: ص ١٢٥ عن المسعودي.

طلبت، شكور اذا شكرت، ذكور اذا ذكرت، أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً!! وأفزع اليك خائفاً وأبكي مكروباً وأستعين بك ضعيفاً وأتوكل عليك كافياً، اللهم احكم بيننا وبين قومنا فانهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين.

صبراً على قضائك يارب، لا اله سواك يا غياث المستغيثين، ما لي رب سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائماً لا نفاذ له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس بما كسبت احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين»(١).

ونجد هذا واضحاً أيضاً في مجمل وصاياه لأهل بيته عليهم السلام وعياله وأصحابه، والتي تكررت في يوم عاشوراء، والتي يؤكد فيها أنّ هذا الصبر سوف يكون نهاية الذل والهوان(٢).

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) ولما قتل عبد الله بن مسلم حمل آل أبي طالب حملة واحدة فصاح بهم الحسين عليه السلام: صبراً على الموت يا بني عمومتي والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم، فوقع فيهم عون بن عبد الله بن جعفر الطيار وأمه العقيلة زينب وأخوه محمد وأمه الخوصاء وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وأخوه جعفر بن عقيل ومحمد ابن مسلم بن عقيل - مقتل الحسين، للمقرم: ص ٢٦٢.

وكذلك قال ما يشبه ذلك عند مقتل القاسم بن الحسن «صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً» - مقتل الحسين للمقرم ص ٢٦٥.

وقال الحسين عليه السلام - بعد مقتل الرضيع يوم عاشوراء -: هوّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، الهي ان كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل - المقتل: ص ٢٧٣.

كما أنه عليه السلام ودّع عياله ثانياً وأمرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال: استعدوا للبلاء، واعلموا أنّ الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الاعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع

=

لقد ضرب الإمام الحسين ﷺ بكل مواقفه وأقواله أروع الأمثلة في الصمود والصبر في مواجهة القمع والارهاب، والسيطرة على العواطف والانفعالات وتحطيم جدران الخوف وحواجزه، والتوكل على الله واللجوء إلى الله تعالى.

دون أن يتردد أو تتزعزع ارادته، حتى وهو يرى أصحابه وأهل بيته يسقط أحدهم تلو الآخر، ويرى الأطفال يذبحون ويتضورون من العطش ويرتجفون من الخوف. ويرى أمامه رهبة السلب والنهب للخيام، والسبي والتشريد والتعرض لاشد الاخطار للعيال، فيستمر على نفس الوتيرة وهو يثبت الآخرين ويأمرهم بالصبر والتحمل والاستعانة بالله تعالى.

ب -كما أن الحسين ﷺ احتاط لمواجهة (السبب الثاني) من أسباب فقدان الإرادة وهو الجهل والتضليل الاعلامي، فقام بعمل اعلامي واسع للتعريف بأهدافه وأسباب نهضته ومقاومته للطغيان وهي (الاصلاح) في أمة جده (والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) واقامة (العدل)، سواء في وصيته عند خروجه من المدينة. أو في رسائله التي كتبها إلى الامصار والشخصيات الإسلامية الكبيرة. أو في خطاباته وأحاديثه العامة التي كان يستند فيها إلى الآيات القرآنية وحديث جده رسول الله ﷺ. كما يلاحظ ذلك

← العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم - المقتل: ص ٢٧٦.

ونظر عبد الله بن الحسن السبط ﷺ وله إحدى عشرة سنة إلى عمه وقد أحدق به القوم فأقبل يشتد نحو عمه وأرادت زينب حبسه فأفلتت منها وجاء إلى عمه وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين فصاح الغلام: يابن الخبيثة أتضرب عمي؟ فضربه واتقاه الغلام بيده فأطنها الى الجلد فإذا هي معلقة فصاح الغلام يا عماه! ووقع في حجر الحسين فضمه اليه وقال: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فان الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين - المقتل: ص ٢٨٠.

في خطبه عند لقاء الحر بن يزيد الرياحي، أو في يوم عاشوراء مع أهل الكوفة.

وكذلك واجبه الاعلامي من خلال التعريف بشخصيته وانتسابه إلىٰ رسول الله، وحديث رسول الله ﷺ عنه وعن أخيه الحسن عليهما السلام، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة.

وفي أخذ العهود والمواثيق واضفاء الطابع الجماهيري علىٰ نهضته، وأنها تلبية لدعوة الناس له لتحمل المسؤولية تجاه الظلم والطغيان وهذا ما كان يؤكد عليه في أحاديثه مع أهل الكوفة منذ لقائهم وحتى مقتله الشريف كما كان يؤكد علىٰ ذلك أيضاً عندما كان ينصحه بعض الناس بالانصراف.

وفي تأكيده علىٰ الزهد بالدنيا وعدم رغبته بالمناصب أو الحكم، بالاضافة إلىٰ تأثير هذا الامر في موضوع حب الدنيا والاغراء.

لقد قام الإمام الحسين عليه السلام بعمل اعلامي واسع في هذا المجال، الامر الذي يدلل علىٰ أهمية هذا العمل من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير إلىٰ أن ما تركته النهضة من آثار في وضوح مشروعية حركة الإمام الحسين عليه السلام انما كان نتيجة طبيعية لمثل هذا التحرك الواسع.

بالاضافة إلىٰ ما أشرنا اليه من أنّ حقيقة الزيف الاموي قد تكشفت للناس، من خلال الفترة السابقة التي طغى فيها معاوية وتعدى الحدود واستهتر بالحرمات ونقض المواثيق واستعمل الظلم والجور كمنهج عام لحكمه.

ج ـ وأما (السبب الثالث) من أسباب فقدان الإرادة وهو (الاغراء) فقد واجهه الحسين عليه السلام بشكل رئيسي.

تارة: بالتأكيد علىٰ إثارة كوامن الفطرة الإنسانية في الحرية والكرامة

والعزة والاباء والوفاء وحب الخير والعدل ورفض الشر والظلم والعدوان.

وأخرى: بتحريك واستدرار العواطف والمشاعر الإنسانية العامة في قضايا الأطفال والنساء والجوع والعطش والآلام والمعاناة، والذي نجده في تفاصيل الكثير من مواقف عاشوراء.

وثالثة: الاستفادة مما تبقى في أذهان وقلوب المسلمين من حب وارتباط بالنبي صلى الله عليه وآله، لأنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقرب عهدهم به وعلاقته العاطفية والروحية برسول الله صلى الله عليه وآله ووجود عمامته وفرسه ومواريثه الشخصية لديه.

ورابعة: بالتحذير من نزول الانتقام الالهي بهم بسبب ظلمهم له وقتلهم إياه، سواء من خلال بعض الكرامات التي شاهدوها في يوم عاشوراء[1]، أو الأحاديث التي ذكر فيها هذا الامر وأنه عهد النبي وسنة من سنن التأريخ[2]،

---

(١) عندما أقبل القوم يزحفون نحو الحسين عليه السلام وكان فيهم عبد الله بن حوزة التميمي فصاح: أفيكم حسين؟ وفي الثالثة قال أصحاب الحسين: هذا الحسين فما تريد منه؟ قال: يا حسين أبشر بالنار، قال الحسين: كذبت بل أقدم على رب غفور كريم مطاع شفيع فمن أنت؟ قال: أنا ابن حوزة، فرفع الحسين يديه حتى بان بياض أبطيه وقال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس اليه وكان بينهم نهر فسقط عنها وعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس وانقطعت قدمه وساقه، وفخذه وبقي جانبه الاخر معلقاً بالركاب وأخذت الفرس تضرب به كل حجر وشجر وألقته في النار المشتعلة في الخندق فاحترق بها ومات. فخر الحسين ساجداً شاكراً حامداً على اجابة دعائه - المقتل: ص ٢٣٠.

(٢) استدعى الحسين عليه السلام عمر بن سعد فدعي له وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال: أي عمر أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك، عهد معهود فاصنع ما أنت صانع، فانك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة يتراماه الصبيان بالكوفة ويتخذونه غرضاً بينهم، فصرف بوجهه عنه مغضباً - المقتل: ص ٢٣٥.

وفي خطبته الثانية عليه السلام: قال: أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا

←

أو أدعيته ﷺ بنزول هذا الانتقام وفي مواضع متعددة.

د - وأما السبب الرابع من أسباب فقدان الإرادة وهو اليأس، فقد عالجه الإمام الحسين ﷺ من خلال عدة أمور:

١ - منها: توضيح المعنىٰ الحقيقي للنصر والفتح الذي لا يعني مجرد الغلبة المادية العسكري في حلبة المعركة، أو الوصول إلىٰ السلطة والحكم، وانما يعني انتصار القيم والمثل، وتحقق الاهداف السامية في حياة الأُمة ووجودها، هذا المعنىٰ الذي عبر عنه الإمام الحسين ﷺ بشكل مختصر عندما قال: «ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح».

٢ - ومنها: التأكيد علىٰ الاجر والثواب والدرجات العالية عند الله تعالى، وما يحصل عليه ويلقاه الشهداء والسائرون في طريقهم من جنات عدن ومساكن طيبة ورضوان من الله تعالى حيث إنّ مصير الإنسان الحقيقي وحياته الابدية انّما هي مرهونة بهذه المواقف والاعمال وتحمل المسؤولية (فلا يأس من روح الله تعالى).

٣ - ومنها: التأكيد علىٰ مبدأ انجاز الوظيفة الالهية، والاستجابة للموقف الشرعي ولنداء الواجب، والوقوف إلىٰ جانب الحقّ والعدل من زاوية الصراع الواسع بين الحقّ والباطل في التأريخ، وكمسؤولية يتحملها الإنسان في مسيرة هذه الحياة بامتداداتها الواسعة في عمق الزمن والتأريخ، بعيداً عن موازنة المصالح الخاصة الضيقة أو الرؤية المحدودة للاشياء والزمن والنتائج والآثار.

٤ - ومنها: التأكيد علىٰ أنّ صراعه المادي والعسكري مع هؤلاء القوم، انما

← يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، اني توكلت علىٰ الله ربي وربكم ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها انّ ربي علىٰ صراط مستقيم - المقتل / ٢٣٥.

هو جولة واحدة من الصراع الذي يخوضه مع الامويين، وسوف تستمر هذه المعركة في الاجيال الاتية أيضاً، لان الحسين كخط، والحسين كامامة، والحسين كأمة، سوف يكون له امتداد حقيقي ومادي في حركة التأريخ، وسوف يجد هؤلاء المنادون كأشخاص الانتقام على يد الثوار الذين يأتون بعد الحسين عليه السلام ليأخذوا بثأره، وبذلك سوف يخسرون الدنيا والآخرة معاً.

وهذا هو ما عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام في رؤيته للمستقبل القريب عندما قال: «**لا والله لا يدع أحداً منهم إلّا انتقم لي منه، قتلة بقتلة وضربة بضربة وأنّه ينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي**».

وهذا ما حصل بالفعل في ثورة التوابين وثورة المختار.

ومما يؤكد كلّ هذه الحقائق وهذه الرؤية هو ما شهده التأريخ الإسلامي بعد الحسين عليه السلام في العصور المختلفة من مواقف وتطورات، حيث نجد في التأريخ الإسلامي تحركاً ثورياً واسعاً بدأ من ثورة الحسين عليه السلام وامتدّ طيلة زمن الامويين والعباسيين، وكان له آثار مهمة على مجمل المضمون السياسي والثقافي والروحي للأمّة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وكان الشعار الرئيسي لهذا التحرك هو الشعار الذي كان يمثله الإمام الحسين عليه السلام وهو شعار (**الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله**)، يعني كانوا يدعون إلى ذلك الإنسان الذي يكون مرضياً من قبل الله تعالى ومختاراً من قبل الناس ويكون من آل الرسول صلى الله عليه وآله والذي يعبّر عنه (**الرضا من آل محمد**).

هذه الحقيقة -كما أشرنا سابقاً- تدل على أنّ ثورة الحسين عليه السلام تمكنت من أن تحقق هدفها الرئيسي، وهو ايقاظ ضمير الأُمة من ناحية وتحرير إرادتها من ناحية أخرى. وذلك من خلال معالجة أسباب موت الضمير وفقدان الإرادة فيها. فهي ثورة هادفة، وناجحة في تحقيق أهدافها.

عراق الأمس وعراق اليوم

وعندما نقارن هذه المأساة الإنسانية وخلفياتها وأسبابها بما يجري من الاوضاع في العراق، نجد نفس تلك الصور، والجماعات، والاشخاص والمشاعر، في جوانبها الايجابية وفي جوانبها السلبية، وسواء على مستوى فقدان الإرادة أو مستوى موت الضمير. أو على مستوى التضحية والفداء والاخلاص.

هناك الكثير من الاشخاص الذين تتحسس ضمائرهم ويعرفون الحقيقة، ويعرفون أنّ الحقّ مع الثورة الإسلامية ولكنهم لا يملكون ارادتهم، لا يملكون القدرة على التحرك ولو بكلمة، ولو بحرف، ولو برمشة عين، فهو يتمكن بأي أُسلوب من الاساليب أن يعبّر عن غضبه، عن رفضه، خصوصاً أولئك الذين يتحملون مسؤوليات كبيرة في داخل العراق، ولكن هؤلاء لا يعبرّون عن أي شيء من ذلك، لأنهم لا يملكون ارادتهم، صحيح عندهم ضمائر تتحسس وتتألم لما يجري في داخل العراق، ولكنهم لا يملكون إرادتهم.

كما أنّ هناك في العراق أناساً وحوشاً، لا يقلّون وحشية عن أولئك الذين حاربوا الحسين عليه السلام وقتلوه وقتلوا أهل بيته واصحابه وعرّضوهم لالوان من الاذى والعذاب، حيث نجد أنّ كل عراقي الآن يعيش مأساة خاصة به وراءها وحش من الوحوش يجمعها هذا النظام المجرم الذي يمثل فيه صدام شخصية عبيد الله بن زياد، وقضية استشهاد السيد الصدر (رضوان الله عليه) هي إحدى

أبرز هذه المآسي في حياة الأُمة، باعتبار أنّ هذا الإنسان العظيم الواعي والسائر على درب الحسين عليه السلام قتل قتلة وحشية بعد حصاره سنة كاملة، ذاق خلالها وتجرع فيها أنواع الأذى والألم والخوف والرعب له ولأطفاله ولنسائه، وبعد ذلك يؤخذ ويقتل بشكل وحشي هو وأخته العلوية العالمة الفاضلة بنت الهدى، وبعد التعذيب يدفن بشكل يدل على الوحشية ويدل على اللؤم والخبث.

وكذلك قضية استشهاد العلماء الخمسة من أولاد السيد محسن الحكيم وبقية أبناء الاسرة من أحفاده وأولاد عمومته، البالغ عددهم أكثر من عشرين شخصاً من العلماء والافاضل، والذين أخذوا رهائن ثم قتلوا صبراً بعد التعذيب الوحشي ودفنوا سراً.

واعتقل جميع أبناء الاسرة البالغ عددهم أكثر من ستين فرداً.وهكذا نشاهد هذه المأساة في كثير من الاسر العلمية والمراكز الدينية بل في مدن بكاملها، حيث تم قتل وابادة عشرات الالاف منها في عمليات وحشية مدبرة.

نحن الآن نعيش حالة مشابهة إلى حد بعيد مع الحالة التي كان يعيشها أبو عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك العصر، ونحتاج إلى دماء زكية طاهرة كالدماء التي أريقت في كربلاء من أجل إحياء الضمائر عند أولئك الذين ماتت ضمائرهم، وتحطيم حاجز الخوف والرهبة لدى فاقدي الإرادة.

﴿وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم﴾

الفهرس

الفصل الثاني: ثورة الحسين عليه السلام المسؤولية وشروط تحقيق الهدف

الفصل الثالث: ثورة الحسين دور الضّمير والإرادة في الثورة

الفصل الرابع: ثورة الحسين إيقاظ الأمّة وتحرير إرادتها